

المقطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين

١ أكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٩ - الموافق ١٧ رمضان سنة ١٣٢٧

الطعام الكافي

يزعم البعض ان الكلام على الطعام ليس من الكياسة في شيء بل هو من ملاهي اهل البطنة. لكن زعمهم هذا لا يضعف شأن الطعام ولا يغير الحقيقة المقررة وهي ان بالطعام قوام الحياة وان مجموع اعمال الناس الجسدية واشغالهم العقلية ناتج من طعامهم. وان الاقوام الذين لا يعنون بامر طعامهم بل يكتفون بما حضر منه ويتبلغون به تبليغاً تضعف اجسامهم وعقولهم وان الام تفتاوت بين قوية وضعيفة وغالبة ومغلوبة وسائدة ومسودة حسب مقدار طعامها ونوعه فالتى تشبع من الطعام وتأكل كل اللحوم وما مثلها من الاغذية غالبة سائدة والتي لا تشبع منه ولا تأكل كفافها من اللحوم وما مثلها مغلوبة مسودة

بقي ان الزائد اخو الناقص من وجوه كثيرة فكما يضعف الجسم والعقل من قلة الطعام يضعفان ايضاً من كثرتيه اذا فاقت الحد ولكن القلة شائعة اكثر من الكثرة فام كثرة لا تكاد تجد ما يكفيها من الطعام وافراد قليلون ياكلون فوق كفافهم لان الاقلال من الطعام يأتي الناس قسراً واما الاكثار منه فلا يستطيعه الا قليلون وهو خاضع لارادتهم. والذين يموتون جوعاً يعدون بالوف الالوف واما الذين يموتون من البطنة فقلال جداً كما سيجي من رأى الانكليزي في بلادهم يجلس الواحد منهم على المائدة في الصباح وامامه السمك واللحم من الضان والبقرة والخنزير والطير. والبيض والزبدة والمربيات فوق الشاي والقهوة واللبن حسب انهم غيلان فيأكل الواحد منهم في صباحه ما يأكله غيره في يومه ثم يتغدون ويتعصرون ويتعشون وهم مع ذلك متمتعون بصحة لا اجود منها ونشاط لا اقوى منه. يبلغ الواحد منهم السبعين والثمانين وقامته منتصبه ووجهه مורّد وعينه برّاقان وهم كذلك رجالاً

ونساء ومعدل اعمارهم اطول من معدل اعمار غيرهم واذا اخذوا في اعمالهم عملوا فيها بنشاط ما فوقه نشاط فكثرة الطعام لا تضرهم على ما يظهر

كنا مرة في الشمال الغربي من بلاد الانكليز واستأجرنا مركبة كبيرة للتنزه مما يبره ستة افراس وتأخر السائق عن الحضور في الصباح وكان يثب قريباً من الفندق الذي كنا فيه فناديته نستعجله فوجدناه جالساً على مائدته مع زوجته واولاده يأكلون اللحم والبيض ويشربون الشاي واللبن ثم جاء وساق المركبة في اراض جبلية تعلو الطريق فيها وتسفل وازمة الافراس الستة في يده وهي من الخيول الانكليزية الكبيرة كانه يسوق حماراً او اتاناً ووصلنا الى فندق عند الظهر فأكل مضاعف ما يأكله الرجل منا . وعند العصر اوقف المركبة امام اول مطعم وصل اليه واكل ما يشبع رجلاً من الخبز والزبدة وشرب كأساً كبيراً من اللبن . وكان لسان حاله يقول انظروا بماذا تغلبنا على ربع المسكونة بقوة اجسامنا وعقولنا المستمدة من كثرة طعامنا

وفي الشتاء التالي زارنا رجل من كبار العلماء وكان في الرابعة والثمانين من عمره وتناول كأساً من الشاي ثم عرضت عليه كأس ثانية فتبسّم وقال تسألوني كيف بقيت متمتعاً بهذه الصحة وقد جاوزت الثمانين السر في ذلك اني لا ارفض كأساً ثانية من الشاي . الكلام مزاح ولكنه لا يخلو من حقيقة لان الرجل مثل غيره من ابناء جلدته يحول كل ما يستطيع جسمه تحويله من الطعام الى قوة جسمية وعقلية

ولا يخفى ان البعض من العلماء في اوربا واميركا قاموا ينادون بان الاكثار من الطعام ضرر محض وان في الاقلال كل الفائدة وقال غيرهم ان معظم الضرر من اكل اللحوم على انواعها وان الطعام النباتي كاف واف بالمراد . ولا شبهة عندنا ان الاكثار من الطعام حتى تعجز المعدة والامعاء عن هضمه مضر لأنه يثعب الجسم ويعرضه للامراض ولان الطعام الذي لا يهضم لا يغذي الجسم به فيذهب سدى فوق ما ينال الجسم منه من الضرر ولكن لا شبهة عندنا ايضاً ان الطعام الذي تهضمه المعدة والامعاء لا ضرر منه الا اذا كان الجسم غير محتاج اليه كله فيزيده سمناً . ولسنا من الذين يقولون ان اللحوم ضارة او ان الطعام النباتي كاف واف بالمراد لاننا نأكل اللحوم ولا تضر بنا ولا تضر باحد نعرفه

وقد اطعنا الآن على مقالة مسببة في هذا الموضوع للدكتور هتشنسن الاميركي وجدنا فيها حقائق كثيرة رأينا ان نقلها افادة لقراء المقتطف ونقرياً للحقيقة قال رأي الناس من اول امرهم ان لا بد لهم من الطعام ولا بد لهم من ان يأكلوا كل يوم

ومن الخنمل ان بعضهم صاموا اياماً فلم يأكلوا إما لانهم لم يجدوا طعاماً يأكلونه أو لسبب آخر فضعفوا وماتوا فانقرض نسلهم وعاش من الناس الذين يأكلون كل يوم واخلفوا نسلًا مثلهم . وكما تكرر الصيام الطويل تبعه الموت على ما تقدم فلم يبق من الناس الا الذين يأكلون كل يوم الى الشبع

ولا بد من انه ظهر لبعض الناس من اول الامر ان الاكثار من الطعام يتعب الجسم فاستنبوا ان الاقلال منه يجلب الراحة وهي نتيجة معقولة ولكنها تناقض حقيقتين مقررتين الاولى وجود القابلية للطعام فما دامت موجودة فلوجودها معنى لا يمكن اغفاله . والثانية ان الطبيعة مسرفة غير مقتصدة فتبذر الشجرة الوفاً من البزور حتى تنبت واحدة منها وتبيض السمكة الوفاً من البيض حتى يتولد منها سمكتان وما من عمل من اعمال الطبيعة خال من التبذير . واسلوبها الذي جرت عليه حتى الآن هو انها تولد من كل شيء اكثر مما يلزم منه ومثولدها تبارى وتتنازع البقاء فلا يبقى منها الا اصلحها للبقاء . أفلا يصدق ذلك على الانسان من حيث الطعام أي انه ينبغي له ان يأكل كثيراً وجسمه يختر ما هو اصلح له من طعامه . والحياة لا تجري على قواعد الحساب والفلسفة بل فيها مجال واسع للصدفة والاتفاق اي لما يتعذر علينا ان نعلم ما سيكون قبل حدوثه ولولا ذلك لفقدت لذتها وبهجتها . ومهما حسبنا وقدّرنا فان النتائج لا تأتي دائماً حسب حسابنا وتقديرنا لان الفواعل كثيرة وبعذر علينا حصرها كلها . والغالب انه يحدث ما لا ينتظر حدوثه لان الحساب والتقدير غير لازمين بل لانهما غير كافيين وشأننا في ذلك شأن المسافر الذي اذا اراد ان يأخذ معه ما يكفيه من النقود وجب عليه ان يأخذ اكثر مما قدر

هذا ما قاله الدكتور هشتنسن في هذا الباب ولا اعتراض عليه الا في ترك الامر للمعدة في اختيار الطعام من حيث نوعه ومقداره . فاذا عرفنا بالاختبار ما هو الطعام الاصح الذي يقبله الجسم ويغذي به وعرفنا المقدار الذي يكفيه منه وجب علينا ان نعمل على مقتضى هذه المعرفة وان لا نعمل على ضدها فالذي وجد بالاختبار ان العدس يضره او تبعه الفول لا يضره او لا يتعبه لا يجوز له ان يقول اني آكل العدس والفول معاً ومعدتي تختر ما هو اصلح لها منهما . والذي عرف بالاختبار او بالامتحان ان الرطل من اللحم يريحه ويكفيه والرطلين يثعبانه ويزيدان عما يحتاج اليه لا يجوز له ان يأكل الرطلين ويقول ان معدته تعرف شغلها وانه لا يريد ان يكثر عليها . ولا يمكننا ان نضع قاعدة واحدة تصلح لكل الناس لان الاجسام تختلف كثيراً في حجمها وعملها وعاداتها وغرائزها وقوة اعضائها المختلفة . وكل

من ينتبه الى ما ينفعه وما يضره من الطعام في نوعه ومقداره يعلم حدود النفع والضرر .
وتجارب العلماء في هذا الباب لا تخلو من الفائدة والارشاد . هذا ولنعُد الى كلام الدكتور
هشمنصن قال

الحياة تستلزم الزيادة

اقرب دليل على ذلك واضح مثل له جسم الانسان ففيه عينان واذنان ومخران وورثان
وكليتان ودماغان اثنان اثنان من كل عضو تقريباً وواحد من الاثنين يقدر ان يقوم وحده
بالعمل المطلوب واما الآخر فردف له يقوم مقامه اذا عجز عن عمله لسبب من الاسباب ولكن
الاثنين يعملان معاً لكي لا يضعفا بالانقطاع عن العمل . فوجود اثنين من كل عضو توسع
وكرم ان لم يكن اسرافاً . ولا يقف الاسراف عند هذا الحد بل ان رئة واحدة تزيد عما
يلزم لحياة الجسم وثلاث رئة واحدة كافٍ اذا اريد الاقتصاد التام لكن الطبيعة لم تكتف
بثلاث رئة لانها حسبت حساب العوارض الكثيرة التي تنتاب الانسان او النفقات غير المنتظرة
فاذا كان انسان بثلاث رئة واصابه شيء من ميكروب السل او ميكروب ذات الرئة لم يستطع
مقاومته . ولهذا السبب عينه لا يحسن بنا ان نكتفي باللازم من الطعام . نعم ان
الطعام غالٍ ولكنه ارخص من الدواء ومن اجرة الاطباء . ولكل متاكليتان مع ان نصف
كلية يكفيه فلماذا لا ننزع كلية منهما ونوفر علينا حملها وتغذيتها . ويسهل نزع رطلين من
كبد الانسان وما يبقى منها يكون كافياً له ولكنه اذا فعل ذلك فلمرجح انه يموت اول ما
يصيبه التهاب اللوزتين او النزلة الوافدة فتكون عاقبة الاقتصاد الموت الباكر . وقد يعيش
الجندي شهراً او شهرين على الطعام القانوني الذي هو قدر الكفاية ولكن ماذا يصيبه بعد
ذلك اذا تعرض للتيفويد او التدرن او الدوسنتاريا او الزكام الشديد . وقد جرب هذا
الطعام القانوني في تسعة من الجنود ضعفت اجسام خمسة منهم وعاد ثمانية الى الطعام العادي
وجرب شاب الاكتفاء القانوني ثم اعترته آفة فاماتته مع انها لا تمت عادة من تعثره ولا
سبب لذلك الا ما عاناه بالطعام جسمه من الجوع

وكلام الدكتور هشمنصن وجيه كله لا غبار عليه ولكن يشترط في هذا الاكثار
او الكرم ان لا يتجاوز النفع الى الضرر فلو ولد ولد بعشر كلّي لوجد الزيادة عبئاً ثقيلاً
عليه وقضى الدكتور هشمنصن بنزع ثمان منها وما احسن المثل العامي ان الزائد اخو الناقص
والمقياس الحقيقي في كل ذلك هو النفع والضرر . وهذا اشار اليه الدكتور هشمنصن في
الفصل التالي

الطعام الاصلح

ان التجارب العملية في الطعام قد لا تخلو من فائدة ولكن الذي تهمننا معرفته ليس ما هو اقل مقدار يكفيننا من الطعام ولا ما هو العمل المعتدل الذي نفعله اذا اكتفيننا بذلك المقدار بل ما هو المقدار الكافي من الطعام لجعل الجسم يعمل كل ما يطلب منه عمله من غير ان تخور قواه اي ما هو الطعام الاصلح للجسم لا ما هو الطعام الاقل او الاوفر . والاقتصاد حسن في التجارة وتدبير الاموال ولكنه غير حسن في الاكل بل هو فيه موجب لزيادة النفقات اخيراً فهو اسراف لا اقتصاد . ومن يحاول الاقتصاد في الخبز واللحم كمن يحاول الموت جوعاً هو او اولاده او خدمه . والاقتصاد في المطبخ عين التبذير ويقع ضرره في الغالب على الصغار او المضاف من العائلة . والناس الذين يأكلون حسب شهية غيرهم لا حسب ما تشتهي انفسهم يقل اغنداؤهم ويضعفون

معنى القابلية

ثم قال ما هي القابلية ما هي الغريزة التي نجدها فينا لطلب الطعام اذا جعنا والاكتفاء منه اذا شبعنا . هي مجرد غريزة حيوانية موروثه من اسلافنا الاولين حينما كان الواحد منهم يجوع فاذا وجد طعاماً هجم عليه كالاسد الضاري والتهمة التهاماً . كلاً بل ان الناس كانوا مضطرين دائماً للاكل ولم يكن الطعام كافياً لهم لصعوبة الحصول عليه فكان الذي يبادر الطعام قبل غيره اذا حضر وياً كل منه كفافه قبلما يفرغ يعيش اكثر من الكسول الذي لا يجد من نفسه شهية للطعام ولا يأكل منه كفافه او لا يبقى له منه ما يكفيه . فعاش الاول واخلف نسلًا ومات الثاني واقرض نسله وهكذا توارث الناس القابلية للطعام وقويت فيهم . ولا بد من ان البعض افراطوا في الاكل جشعاً وهو لاء اتحموا ومرضوا وماتوا ولم يخلفوا نسلًا فبقي من نوع الانسان اصحاب القابليات المعتدلة لا الذين يفرطون ولا الذين يفرطون . وغني عن البيان ان الغرائز التي تبقى في النوع وتستمر فيه هي الغرائز النافعة لان الغرائز الضارة تهلك اصحابها فلا يخلفون نسلًا . هذا اذا لم يستعمل الانسان عقله وارادته لمقاومة الطبيعة وابقاء الضار او تخفيف ضرره

ولذلك فالقابلية غريزة نافعة تستحق ان يعمل بها ويحاج طلبها وهي لا تكون كذلك الا اذا زادت عن الحد المحدود أي اذا كان مؤداها ان يأكل الانسان فوق حاجته ولو قليلاً لان يأكل اقل من حاجته مثل كل الغرائز الطبيعية لان الزيادة علاجاً وهو خزن الزائد او طرحه او عدم استعماله واما النقص فلا سبيل لثلافيه كما اذا كان دخل انسان اكثر من

نفقاته فان الزيادة لا تضره ولكن اذا كان دخله اقل من نفقاته فان آخرته الافلاس والخراب .
واوضح من ذلك انه يجب الاهتمام بالقابلية وحفظها وعدم مخالفتها الا اذا ثبت ان منها ضرراً
وهي خير مرشد لنا في امر الطعام

ومما يذكر بالاسف ما هو شائع الآن من ان النتائج العلمية التي نتجت من البحث العلمي
في هذا الموضوع جاءت منافضة لما تقدم لان اناساً من صغار الاحلام اشاعوا في طول البلاد
وعرضها ان كل الناس ياكلون اضعاف اضعاف ما يحتاجون اليه وان اكل اللحم من الموبقات
او هو على الاقل من الغرائز الحيوانية التي يجب قمعها . اكن الاشاعة غير صحيحة والتجارب العلمية
الحديثة التي اجراها العلماء الخالون من الغرض ايدت التجارب العلمية القديمة بنوع عام والتجارب
التي اجراها اناس يقصدون ان يثبتوا ضرر اكل اللحم وضرر الاكثار من الطعام تخالف اخبار
الناس بنوع عام ولا سيما في تكتلات الجيوش ومستشفيات المرضى ومصاح السقاء

التجارب العلمية

اما التجارب العلمية فاجراها العلماء اولاً في الكلاب صنعوا غرفة محكمة وقاسوا ما فيها من
الهواء والرطوبة والحامض الكربونيك ووضعوا فيها كلباً وغذوه غذاء معلوماً في نوعه ووزنه
وسقوه مقداراً معلوماً من الماء ثم قاسوا ما نفثه من البخار المائي وما خرج منه من المبرزات على
انواعها واستمروا على ذلك اياماً ثم اخرجوه ووزنوه فوجدوا ان الرطوبة التي خرجت منه
والحرارة التي اتصلت منه الى هواء الغرفة ومبرزاته الجامدة والسائلة الخ موازنة للطعام الذي
اكله والماء الذي شربه . ولما رأى ملك باقاريا ذلك عرض على هؤلاء العلماء النفقات
اللازمة لاجراء هذه التجارب في الانسان فاجروها وثبت منها ان جسم الانسان اكثر
الآلات اتقاناً في الموازنة بين دخله وخرجه فلا يضيع فيه شيء فان الحرارة التي تصدر منه
وهو في غرفة محكمة والرطوبة التي تخرج من بدنه والعمل الذي يعمل به والحامض الكربونيك
الذي ينفثه مجموعها يوازي مجموع الطعام الذي اكله والشراب الذي شربه مع اعتبار ما
زاده جسمه او نقص منه . وعليه فاذا اراد الانسان ان يعمل عملاً ما فعليه ان ياكل طعاماً فيه
المواد الكافية لذلك العمل والا اضطر ان يستخدم له بعض جسمه

وبناء على هذه التجارب وضع العالمان بنتكفر وفويت جداول الطعام المعروفة وبينما ما هو
اقل مقدار يكفي للعيشة ويمنع الموت جوعاً وما هو المقدار الذي يعيش به الانسان مستريحاً
والمقدار الذي يكفيه اذا عمل عملاً معتدلاً والمقدار اللازم له اذا عمل عملاً شاقاً وهذه
المقادير بين حدين الحد الاوطأ ١٥٠٠ حرة والحد الاعلى ٤٥٠٠ حرة ويراد بالحرّة

(Calorie) المقدار من الحرارة الذي يسخن الكيلو من الماء درجة واحدة بميزان سنغراد . وكل التجارب العلمية التي جرت بعد ذلك أثبتت النتائج المتقدمة ولم ترد عليها إلا أموراً طفيفة ناتجة عن الزيادة في اتقان الآلات والادوات . وقد اعتمدت عليها الدول الأوروبية في اطعام جنودها لجنات وافية بالمراد

وقد يعترض على ذلك بأن رجلاً مثل لويجي كورنارو عاش سنين كثيرة وهو مقتصر على القليل من الطعام لا يزيد في يومه على ١٢٠٠ حرّة . ولكن الرجال الذين مثله نادرون والنادر لا يبنى عليه حكم . ولقد حسب الدكتور تشندن ان ١٦٠٠ حرّة من الطعام تكفي الانسان ونشر ذلك في الطبعة الاولى من كتابه ثم غير هذا المقدار وجعله ٢٨٠٠ حرّة في الطبعة الاخيرة من غير ان يبين سبب ذلك

ما يضيع من الطعام

ويزعم الذين ينادون بوجوب تقليل الطعام ان الجانب الاكبر منه يذهب سدى فينتعب الجسم للتخلص منه فوق ما يخسره الانسان بالاتفاق على ما لا حاجة له به . لكن التجارب العلمية لم تؤيد ذلك بل اثبتت ان ما يضيع من الطعام قليل جداً اذا لزم الانسان حد الاعتدال في طعامه وهذا الضائع بين ٥ و ١٥ في المئة لا غير فلا يضيع من لحم البقر سوى ٢ في المئة اي اذا اكل الانسان لحماً فيه مئة غرام من الغذاء لم يخرج منها من جسمه ضياعاً سوى غرامين والثانية والثمانون جراماً الباقية تدخل الدم غذاءً للجسم . ويضيع من اللبن ٣ في المئة ومن الخبز ٦ في المئة

هذا ما ذكره الدكتور هتشنسن ولقد احسن في تقييده الطعام ضمن حد الاعتدال فاذا كانت حاجة الانسان تختلف بين ١٥٠٠ و ٤٥٠٠ حرّة حسب عمله فقد يأكل ٤٥٠٠ حرّة ولا يعمل ما يستدعي ٢٥٠٠ حرّة فماذا يصير بالالفين الباقيين ألا يذهبان ضياعاً . رأينا مرة فتاة عمرها نحو ١٦ سنة كانت تأكل في يومها ما يكفي اثنين او ثلاثة ولا تشعر بالشبع ولكنها تبطل الاكل متى مُنعت عنه . وقد راقبناها بضعة اشهر وهي على حال واحدة وكانت معتدلة القامة لا سميكة ولا نحيفة وبقيت كذلك كل المدة التي راقبناها فيها وكان عملها الخدمة ولم تكن تعمل اكثر من غيرها من الخدم ولا شبيهة في ان نصف طعامها كان يذهب سدى . وهذا شأن كثيرين من الذين يأكلون فوق ما تحتاج اليه ابدانهم او تستدعيه اعمالهم

موقى البطنة

قال الدكتور هتشنسن انه نظر في جدول الامراض التي يموت بها الناس في نيويورك

فوجد انها ٤٢ مرضاً او آفة ثلاثة منها فقط يمكن ردها الى كثرة الاكل وهي امراض المعدة وامراض الكبد والبول السكري وان ثلثي الذين ماتوا بهذه الامراض لم يكن لكثرة الاكل يد في موتهم مع ان كل الذين ماتوا بهذه الامراض لا يتجاوزون ثلاثة في المئة من عدد الوفيات كلها . اما الامراض التي سببها قلة الاكل او قلة التغذية او التي تشد بقلة الاكل او بقلة التغذية فهي الامراض الفتاكة حقيقة كالسل وذات الرئة والاسهال والتيفويد والجوع وهذه الامراض امات ٢٥٠٠٠٠ او نحو ثلث كل الوفيات . فالامراض الناتجة عن كثرة الاكل او التي تشد بكثرة الاكل تمت ثلاثة في المئة فقط واما الامراض الناتجة عن قلة الاكل او التي تشد بقلة الاكل فتمت ثلاثين في المئة فلو كانت قلة الاكل تطيل الحياة وتدفع الامراض لنجت على الاقل نصف المئتين والخمسين الفا المشار اليهم آنفاً

هذا وغني عن البيان ان معدل الوفيات يكون على اكثره بين الفقراء الذين لا يستطيعون ان يأكلوا الطعام الكافي المغذي وعلى اقله بين الاغنياء الذين يأكلون الطعام الكافي المغذي . وارقى الامم الآن هي الامم الكثيرة الطعام . ألا ترى ان اول شيء فعلته اليابان حينما ارادت ان تسير في مصاف الامم الراقية انها جعلت جنودها البرية والبحرية تقتدي بالاوربيين في اكل الطعام المقوي وحثت شعبها على ذلك

الجماعات والابوئة

من الحقائق التاريخية ان الابوئة تتبع الجماعات وثلثا الذين يموتون جوعاً يموتون بحمي نثغلب عليهم لان الجوع اضعف اجسامهم حتى لقد جري الاطباء على تسمية بعض الحميات كالتييفوس والتيفويد بحميات الجوع فهل حدث في وقت من الاوقات ان اصاب البلاد مرض وبائي بسبب كثرة الاكل او خصب الحاصلات ؟ كلا

الطعام الجيد والكثير منه

الطبيعة حكيمة ولم تبذل قوتها عبثاً في ابقاء الاصلح من الناس والغرائز منذ الوفاة من السنين الى الآن . ولا بد للانسان من مقدار من الطعام يكفيه لحفظ حياته وقيام اعماله والقليل من النقص عن الحد المطلوب يضر جداً ولكن القليل من الزيادة لا يضر ولا سيما في الصغار وهم يمتون وفي الحوامل وهن يغذين اجتهن . ولكن لا بد من ان يكون الطعام جيداً خالياً من الفساد ومن ميكروبات الامراض لان قولهم ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب سببه ما يكون في الطعام احياناً من مواد الفساد وميكروبات الامراض . اما مقدار الطعام فان كانت كثرته تعب بعض الاغنياء فقلته تقتل الملايين من الفقراء

رسائل الاستانة

(٥) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

العرب والترك والارمن

ان الاتفاق والاختلاف بين رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز امر جلل يهم
العثماني هماً كبيراً لانه يقدم ويؤخر في مصالح الامة والدولة كثيراً . ولكن مهما عظم شأنه
لم يبلغ في اعتبارنا شأن اتحاد العناصر العثمانية وانشقاقها اذ اتحادها اعم واعظم نفعاً من اتفاق
الفتاة والعجوز وانشقاقها اوسع ضرراً واشد تأثيراً في تعطيل مصالح الامة من اختلافهما . وقد
كانت مسألة هذه العناصر اعظم باعث لنا على السفر الى الاستانة ودرس المسائل العثمانية
فيها . وكانت مسألة العنصر الارمني التي نجمت عن مذابح اذنه تشغل بالنا وتزيد همنا حينئذ
خوفاً من ان يكون ولاية الامور في تركيا غافلين عنها غير مباليين بما لها من التأثير السيئ في
العالم المتمدن واشفاقاً من ان يصح فيهم ما كان يقولهُ كثيرون من الاجانب عنهم وهو ان
الحكومة الدستورية الحالية ناهجة في تحقيق تلك الحوادث نهج الحكومة الاستبدادية الحميدية
بدعوى انها تحقق قولاً وتطمس معالم الحق وتخالف العدل فعلاً . ومما كانت يزيد خوفنا
وحذرنا من ذلك الاخبار التي كانت الشركات البرقية تطيرها اليانا عن افعال ديوان الحرب
الذي كان يحقق قبل تعيين سعادة الفريق اسمعيل باشا فاضل رئيساً له وارسال اثنين من
افاضل المبعوثان الى اذنه . ولذلك لم نكد نلتقي باسمعيل باشا فاضل على ظهر الباخرة الرومانية
في ازمر كما مر بنا ذكره في مقالة سابقة ونسمع من لسانه انه مسافر في الغد الى اذنه ليرأس
ديوان الحرب فيه حتى كاشفناه بخوفنا وحذرنا وقلنا له اننا لا نعلم ان كنتم انتم ولاية الامور
متنبهين لما كان للمذابح الاخيرة من التأثير في العالم المتمدن ولما يقال عنا الان بسببها ولما يخامر
فؤاد كل عثماني حر يغار على شرف الدولة ومجدها وحسن سمعتها من الخوف والقلق لئلا
تكونوا لاهين عن ذلك بمشاغلكم الاخرى غير مباليين بعواقب ما يسمعه امثالنا العثمانيون
البعيدون عنكم من الاقوال التي لا تسمعونها والتعبيرات التي لا يبلغكم خبرها

فقال ولكن العالم المتمدن يعلم اننا غير مسؤولين عن تلك الحوادث وانها حدثت على غير
علمنا ورضانا . قلنا نعم ان العالم المتمدن يعلم ذلك ولا يعدكم مسؤولين عن حدوث ما حدث
ولكنه يعدكم مسؤولين عن اظهار الحق واجراء العدل بعد حدوث ما حدث . وكل عثماني

حر يطالبكم بان تفعلوا فعل الحكومات العادلة الدستورية في مثل هذه المهمة وان تزبلوا هذه
 الوصفة بقوة الحق والعدل عن جبين الدولة . فاعجبه كلامنا هذا وسره ما سمعه عن غيره
 العثمانيين على دولتهم الدستورية وحرصهم على حسن سمعتها في كل البلاد المتقدمة
 فقال لنا اقوالاً سكنت قلقتنا ولكن فاتنا ان نستأذنه في نشرها برمتها فامسكنا عن
 نشرها لعلنا انه ضابط وموظف في حكومة وربما حظر عليه نشر اقواله ولكن لا بأس ان
 نقول ان خلاصة كلامه كانت ان العالم المتقدم سيعلم عن قريب ان الحكومة الدستورية
 العثمانية ليست حكومة تطمس الحق وتميت العدل لاغراض دينية او جنسية بل انها تفعل
 الواجب عليها فظهر الحق وتجري العدل بلا محاباة ولا مراعاة كاعدل حكومة متقدمة دستورية
 فقلنا له اننا نطلب منكم نشر كل التقارير الحاوية للتحقيقات والشهادات والاحكام حتى
 يطلع عليها القاصي والداني . قال ان ذلك كله سيرسل الى مجلس المبعوثان وقد عاد حضرة
 يوسف بك كمال من المبعوثان من ادنه وكان امس هنا وسافر الى الاستانة وسيعرض تقريره
 على مجلس المبعوثان

فلما وصلنا الى الاستانة وذهبنا الى مجلس المبعوثان كان اول خطيب رأيناه وقف على
 المنبر في جلسة ذلك اليوم يوسف بك كمال فخطب طالباً اعانة المنكوي تلك الولاية حتى يتناعوا
 لوازم الزراعة وخطب بعده آخرون فكان حضرته اخطبهم كلهم بلا خلاف . وسألنا في
 الاستانة عن تأثير مذايح ادنه وعما سيكون من امرها فسمعنا فيها من افواه رجال من جمعية
 الاتحاد والترقي ورجال من المبعوثان وكلهم من المسلمين اقوالاً توافق ما سمعناه من فم اسمعيل
 باشا فاضل . وقيل لنا ان جريدة طنين كتبت في هذه الحوادث تطلب اظهار الحق واجراء
 العدل وانصاف الارمن كتابة لم تفقها مقالات الجرائد الارمنية نفسها . وشعرنا انه وان كان
 لا يزال في نفوس الارمن ألم وجفاء واستياء لكنهم شعروا بمجاجة اخوانهم الترك لهم اخيراً
 وباتوا يرجون بعد تلك المجاجة ان يقام العدل وينصف المظلوم من الظالم ولذلك وجدنا كثيرين
 منهم ميالين الى تناسي ما مضى وتسهيل سبيل الاتفاق والثود في المستقبل . ومهما يكن من
 هذه الآمال والاميال فالذين زاروا الاستانة ايام زيارتنا لها لم يكادوا يشعرون باختلاف
 او انقسام بين العنصرين التركي والارمني فيها ولا لحظوا ان العثمانيين الذين يهشون
 بالمسائل العمومية وامر العناصر يظهرون همهم من جهة العنصرين التركي والارمني او يبدون
 اقل شيء من القلق الذي يبدونه من جهة العنصرين التركي والرومي
 ولكن قال لنا بعض الخبيرين ان الامر ليس كذلك في بلاد الاناضول وان بعض الدوائر

الوطنية والاجنبية التي بينها وبين الاناضول مواصلات ومراسلات غير مطمئنة اطمئنان اهل الاستانة من هذا القبيل

ولما وقفنا على ما وقفنا عليه من جهة العنصر الارمني وسمعنا من يوثق باقوالهم ان الحكومة الدستورية عاقدة النية على ان تظهر للعالم ترفعها عن التعصبات الدينية والتحيزات الجنسية في امر الحوادث الاناضولية جعلنا نبحث عما يهمننا اكثر مما يهمننا سواه وهو امر العنصر العربي الذي نعد منه والذي نود طبعاً ان يكون في مقدمة جميع العناصر (عثمانية كانت او غير عثمانية) رفاهة وسعادة وارثقاء ونجاحاً . ولما كان غرضنا الاول جلاء الحقائق للقراء وجب علينا ان نعترف هنا ان امر هذا العنصر لم نتجمل لنا حقيقة في الاستانة لاننا كنا نشعر كما ذكرنا امره انه لا يسهل علينا معرفة الحقيقة عنه لاننا لا نسمع الاقوال الصريحة ولا نطلع على البواطن الجلية . وربما كان هذا الشعور قد تولد فينا من تأثر السليقة مما حولنا بلا دخل لادراكنا في ذلك . وربما كان قد تولد من سبب آخر وهو اختلاف الاقوال التي كنا نسمعها من العرب والترك مع شدة حرصنا على اكتشاف الحقيقة ومحاوالتنا عدم الاقتناع بالاقوال التي نسمعها ما لم يقر عليها الشاهد والدليل . والشاهد والدليل لا يتأتيان في كل آن وسواء كان السبب في شعورنا هذا صواباً او خطأ فهذا ما شعرنا به بيناه بصراحة وحرية ليكون القارئ على بصيرة . وبعد هذا التبيان لا بأس بذكر طرف مما سمعناه من الفريقين . فابناء العرب لا يخلو بعضهم من عتب على الترك ولكن العاتبين عليهم وغير العاتبين والمؤاخذين لهم والعاذرين متفقون على القول بان الترك مرتابون في اخوانهم العرب اما العاتبون عليهم والمؤاخذون لهم فيقولون انه لا يحق للترك ان يرتابوا في العرب بوجه من الوجوه بل يحق للعرب ان يعتبروا على الترك لانهم اظهروا ارتيابهم هذا ببعض افعالهم ولانهم لم يثبتوا لنا محافظتهم على المساواة فعلاً بيننا وبينهم كما هو مقتضى القانون الاساسي الذي هو اساس نظامنا في دولتنا والذي يجب ان نجعله كذلك قولاً وفعلاً لا قولاً فقط . واما العاذرون للترك من العرب والمعتذرون عنهم فيقولون ان الترك بشر مثلنا ولا عجب اذا ارتابوا فينا بعد الذي رأوه منا

وبين الفريقين اخذ وعطاء وجدال كثير من هذا القبيل . فالعاذرون للترك والمعتذرون عنهم يقولون لنفرض اننا نحن في مكانهم وهم في مكاننا فما كنا نرتاب فيهم كما ارتابوا فينا . فاولاً قام منا العابد وابو الهدى والمحمة واخوه والشيخ فلان والسيد فلان واتباعهم وحواشيهم في عهد عبد الحميد وفعولاً ما فعلوا في عهد الاستبداد مما اسخط الترك ورسخ ذكره

في اعماق نفوسهم . وثانياً لم يكذب الحزب المحمدي يقوم في الاستانة حتى رن صده في دمشق الشام ولولا انتصار جيش الحرية هنا خلفنا من قومة عظيمة على الدستور في ولاية سورية وربما لم يقتصر ذلك على ولاية سورية وحدها بل ظهر ايضاً في ولايات أخرى عربية . وثالثاً انشأ قوم من ابناء العرب صحفاً يحرضون فيها العنصر العربي على الاستقلال وقامت جرائد أخرى في مصر تنصير لاستبداد عبد الحميد على نظام الدستور ونقول للمسلمين العرب الذين يقرؤونها ان مجد الاسلام قد زال بزوال حكم ذلك الظالم وتسعى في قطع العلاقة بينهم وبين الدولة العلية . ورابعاً يأتي قوم من العرب المتافقين الى هنا من حين الى حين ويتقربون الى ذوي الحل والعقد والكلمة النافذة في هذه الايام بتسويد وجوه العرب ابناء وطنهم وتبييض وجوههم فيقولون لهم ان فلاناً وفلاناً من اهل بلدنا كانوا من الرجعيين او ممن يروم فصل العرب عن الدولة او ممن يضمم الشر للدستور ولكننا وقفنا لهم بالمرصاد واحبطنا سعيهم وفعلنا كيت وكيت مما يرد كيدهم في نخورهم . او يقولون لهم ان السواد الاعظم من اهل بلادنا سيكون وينوحون على عبد الحميد ويحسبون سقوطه ذلة للاسلام والمسلمين ولكننا جادون في تنوير اذهانهم وازالة هذا الخطاء من عقولهم وقس على ذلك كثيراً

أفتعجب بعد هذا كله على اخواننا الترك اذا ارتابوا فينا واوجسوا في نفوسهم خيفة منا ويرد عليهم العائبون انه اذا كان قد قام منا بغاة في عهد عبد الحميد فقد قام من الترك قوم اكثر منهم عدداً واشد بغياً وحسبنا ان عبد الحميد نفسه منهم فلا يحق لهم ان يرتابوا في امة بسبب ما جناهُ قوم يعدون على اصبع اليد الواحدة منها كما اننا نحن لا نرتاب في العنصر التركي بسبب ما جناهُ بعض افراده

وانه ان كان قد قام في دمشق من اراد مقاومة الدستور فهو لاء متابعون لا بادئون وقد تابعوا الجمعية الحمديدية التي انشأها الترك في الاستانة . فليس من العدل ان يرتاب اخواننا الترك فينا بسبب ذلك كما اننا لا نرتاب فيهم بسبب الذين انشأوا الجمعية الحمديدية منهم وفعلوا ما فعلوا

وان كان قد انشأ بعض منا جرائد او نشر مقالات تحرض العرب على الانفصال عن الدولة او تكره اليهم الحكومة الدستورية فكم من جريدة لنا تنغى بمدح الحكومة الدستورية كل يوم وثقاوم الجريدة او الجريدتين اللتين شذتا عن سائر الجرائد العربية . وكمن مقالة تنشرها جرائدنا العربية كل يوم وتوصي فيها بالاتحاد والوئام ونقول انه لا تقوم لنا قائمة الا بالاتحاد التام

وان كان بعض المناققين يتقربون الى ذوي الحل والعقد بالافتراء على ابناء وطنهم ويقولون ان العرب يتحسرون على عبد الحميد ولا يخلصون للحكومة الدستورية فما جرائدنا تصدر طائفة باخبار اخلاص العرب للدولة العلية والحكومة الدستورية حتى انهم يجاهرون بحبها والتعلق بها من اقضاء الكرة الارضية . افليست الاعياد التي يعيدونها والافراح والولائم التي يقيمونها طوعاً من تلقاء نفوسهم وبلا تكليف احد لم ايام الاعياد الدستورية في كل بلادهم فيها دليلاً قطعاً على اخلاصهم وصدق ولائهم وتكديباً لكل من يفترى سوءاً عليهم فكيف يجوز بعد ذلك لاخواننا الترك ان يرتابوا منا او يسيئوا ظنهم فينا

بل كيف يجوز لهم ان يظهروا ارتيابهم هذا فينا بما كسر قلوبنا وحل عزائم ضباطنا فانهم ارسلوا فاحضروا الضباط العرب من فيالقهم في سورية ومكدونية وجمعهم في الاسثانة بعد ما كان ضباطنا اشد اعوانهم في اعادة الدستور اولاً وفي حفظه اخيراً ولهذا اساء ضباطنا وحراروا في امرهم لانهم لا يدرون سبباً لارتياب اخوانهم فيهم . ونحن ايضاً مستاءون استياءهم وشاعروا بان هذا الارتياب يضرنا اديباً اذا لم نشعر الاً بانه يضرنا مادياً

وعلى هذا المنوال كان يطول الجدل بين الفريقين في عدة مجالس حضرناها واوردنا طرفاً فقط مما كان يقال فيها . ولكننا ادركنا منها امراً ذكرناه آنفاً وهو اتفاق الفريقين على ارتياب الترك في امر العرب . وبناءً على ذلك سألنا قوماً من الترك عن امر هذا الارتياب املين ان نصل الى ما يحلو حقيقة اسبابه ويزيله اذا كان موجوداً . وسنذكر محصل ما سمعناه منهم في مقالة تالية ثم ننقل الى ما علمناه عن العنصرين الرومي والالباني وبالله التوفيق

ثبت ان فريد باشا ناظر الداخلية العثمانية استعفى من وظيفته وان طلعت بك رئيس مجلس المبعوثان الثاني سيعين ناظراً بدلاً منه فتم بذلك ما كان ينتظر حينما كنا في الاسثانة واشرنا اليه في ما مضى . اما طلعت بك فلا يزال مع وفد المبعوثان في بلاد الانكليز ولكن ما سمعناه عنه من الذين يعرفونه حق المعرفة يقوي الامل بانه ينجح في نظارة الداخلية كما نجح صديقه وزميله جاويد بك في نظارة المالية

اما اخبار الشركات البرقية عن كريت فتوهم القاريء باكثر مما ينتظر وقوعه في مسائلها . فما لا يرتاب فيه رجال الاسثانة ان دولة اليونان وحدها لا تحارب الدولة العلية مطلقاً لا على مسألة كريت ولا على غيرها . وانه لا يكاد يحتمل وقوع حرب بينهما الاً اذا اتحدت البلغار واليونان معاً وذلك قليل الاحتمال جداً ولا سيما في هذه الايام التي يزداد فيها

الصفاء ونحسّن العلاقات يوماً فيوماً بين الدولة العلية والبلغار
 بقي ان كريت نفسها تشق عصا الطاعة وتجاهر بالعصيان وذلك كان كثير الاحتمال
 في عهد الحكومة الحميدية ولكنه بعيد الوقوع في عهد الحكومة الدستورية. وعسى انه لا
 يقع مطلقاً اولاً لخير كريت نفسها وثانياً لكي لا يشغل الحكومة العثمانية عن الاصلاحات الداخلية
 ولكن هب انه وقع فعاقبته معلومة ورجال الدولة يظنون انه لا يحملها مشقة عظيمة .
 قال لنا رجال من ضباط الجيش العثماني والاتحاد والترقي ونحن في الاستانة لا نقيسوا على
 الماضي فلو ثار الالبانيون في ايام عبد الحميد لما وقع ثورتهم جيش جرار في شهور واعوام
 ولكن جاويد باشا احمد ثورتهم بجند قليل في ايام . وهكذا ثورات كريت التي كانت تدوم
 الزمان الطويل في سالف الاعوام لا تدوم الا اياماً امام جيشنا الحالي وقوادنا الابطال الذين
 لا يعرفون الا النصر او الموت في ساحات القتال
 ولذا كله نظن ان اهل كريت لا يستفزون الدولة الى القتال الا اذا استقنلوا وعيل
 صبرهم على هذه الحال

(٦) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

الترك والعرب ايضاً

لما مررنا بازمير ونحن ذاهبون الى الاستانة سألنا عالماً تركياً من رجال الاتحاد والترقي
 مسائل كثيرة عن الدستور وانصاره ومقاوميه وثبات نظامه وما يحشئ منه عليه . وكنا نكلمه
 بالعربية المعربة فيجيبنا بمثلها ولكنه لا يفهم لغتنا العامية كما لا نفهم نحن اللغة التركية فلما انتهينا
 من سؤاله ما شئنا قال لقد سألتوني عن كل ما عنكم بكل صراحة وحرية وطلبتم مني ان
 اجابكم بكل صراحة وحرية فاجبتكم كذلك عما سألتوه عن العلماء والفقهاء كما اجبتكم عما سألتوه
 عن الاكليروس والروساء الروحانيين عند العثمانيين غير المسلمين . فانا اطلب ان اسألكم الان
 سواءً واحداً بكل صراحة وحرية وارجو ان تجيبوني عنه كذلك ولا تؤاخذوني بسؤاله
 كما اني لم اؤاخذكم بشيء سألتوه لعل انكم طلاب حقائق وانا طالب حقيقة مثلكم
 فقلنا سلوا ما بدا لكم فاننا اخوان مخلصون في خدمة الدولة والوطن . والاخلاص يوجب
 علينا السؤال والجواب بتمام الحرية

قال اصحيح ان العرب السوريين يكرهون الانتماء الى الدولة العلية ويطلبون الانفصال
 عنها والاتحاق بمصر وجعل مصر وسورية مملكة عربية مستقلة عن السلطنة العثمانية الدستورية

فلما سمعنا هذا السؤال تبسنا وقلنا في نفسنا لو كان الذين يلقون الاقوال على عواهنها يفكرون في عاقبة اقوالهم قبلما يفوهون بها بلا تبصر ولا روية لكان الذين يكثرون من شقشة اللسان في مصر مثلاً يحترزون في التلفظ باقوال هي بالذات ضرب من المحال وعاقبتها الضرر على كل حال اذ صاحبنا لم يسألنا هذا السؤال الا بعد ما سمع طرفاً مما يهذي به بعض صغار الاحلام في مصر مثلاً

ثم قلنا له انكم طلبتم منا ان نجيبكم بالصراحة والحرية وعليه نقول لكم انكم لو سألتمونا هذا السؤال قبل اعلان الدستور لكاننا نجيبكم اننا نحن انفسنا نود ذلك ونتمناه لا نقطاع املنا من الخير والاصلاح في حكم عبد الحميد . اما الآن وقد اعلن الدستور فارأونا واميلنا نحن وغيرنا قد تغيرت كلها تغيراً تاماً دفعة واحدة وليس منا من يسعى في ضم سورية الى مصر او من يفكر في ذلك . فما سألتمونا عنه غير صحيح والسوريون عموماً على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم يابون الآن الانفصال عن الدولة العلية والاتحاق بمصر او بغيرها

فلما سمع منا هذا القول بدت عليه علامات الارتياح والاطمئنان وقال لنا صريحاً انه لا يشك في صحة جوابنا بعد الآن لا هو ولا غيره من اخوانه . فادركنا من ذلك الحين انه لا بد وان يكون قد علق بنفوس الترك شيء من الريب في العرب السوريين على الاقل

ولما اتينا الاسثانة وسمعنا العرب يتباحثون ويتجادلون فيها بمعنى ما اوردنا طرفاً منه في مقالتنا السابقة رأينا من الواجب علينا مفاتحة الترك بذلك والاطلاع على ضمائرهم وجللاء الاذهان من صدأ الريب ان كان ثم محل لذلك

على اننا طرقتنا هذا الباب مراراً فلم نكن نلج على من نسألهم علامات الارتياح الى البحث في هذه المسألة او كنا نجاب اجوبة لا تشبع او لا تفي بالمطلوب الذي نريد معرفته

وكان مؤدى الاجوبة بوجه الاحمال انه ليس هناك ارتياح في العرب وما يتحدث به الناس خلافاً لذلك غير مطابق للواقع بل هو ناتج عن وهم او عن سوء فهم ونحو ذلك . فجعلنا نقول في نفسنا تارة يمكن ان يكون اخواننا ابناء العرب مخطفين في ظنهم وان يكون الوهم غالباً عليهم وتارة يمكن ان اخواننا الترك يحسبون محاوئتنا عن هذه الاسئلة بالصراحة والحرية مما يؤلم عواطفنا فيجتنبون ذلك ملاطفة ومراعاة منهم لنا . ونبني ظننا الاخير هذا على ما لحظناه من كلام العالم التركي في ازميز تمهيداً لسؤاله عن العرب السوريين

ولكننا لم نقف عن السؤال عند مثل ذلك الجواب في حديث جرى لنا مع بعضهم بل قلنا له ولكن بلغنا ان ضباط الجيش استدعوا اخوانهم الضباط العرب من دمشق ومكدونية الى

الاستانة وابقوهم فيها وان ضباط العرب مستأثرون من ذلك لظنهم انهم لم يستدعوا الى الاستانة الا حذراً منهم وارتياباً فيهم مع انهم من اشد الضباط العثمانيين اخلاصاً وغيره على الدستور والدولة

فقال اننا لم نفعل ذلك مع الضباط العرب وحدهم بل مع آخرين من الترك وغيرهم فقلناهم من الاماكن التي كانوا فيها الى الاستانة لاسباب اقتضتها الاحوال العسكرية لا لارتياب ولا لسوء ظن . ومثل هذا النقل والتغيير كثير في الجيش ولكن يظهر ان الضباط العرب شديدو التأثير والانفعال وشديدو الميل ايضاً الى حمل ما يجري في الجيش على التمييز بين التركي والعربي فاذا جرى مثلاً امر ميس التركي والعربي على حد سوى فالتركي يقبله على بساطته اذ لا وجه له ليحملة على غير ذلك واما العربي فلكونه غير تركي يشاد الى ذهنه انه لا بد لذلك الامر من سبب غير السبب البسيط ويحسب ذلك السبب طبعاً التمييز بين العربي والتركي او نحو ذلك

فراًينا حينئذ انه يحتمل ان يكون كثير مما يقال عن ارتياب الترك في العرب ناتجاً عن الوهم او الخطاء في الفهم وقلنا لمن اجابنا هذا الجواب كنا نود ان يوجه اخوانكم انتباههم الى هذا الامر الجلل ويحذروا كل سبب يؤثر تأثيراً سيئاً في نفوس العرب . فحين لا نجعل انه وان كان القانون الاساسي يوجب الحرية والمساواة والاخاء على العثمانيين كلهم فانتم الترك مميزون الآن بمقتضى طبيعة الحال . ولو ساعدتنا التقادير نحن العرب كما ساعدتكم لسبقناكم الى اعادة الدستور منذ زمان طويل . فالكل يقولون ان مدحت باشا هو ابو الدستور وواضع القانون الاساسي ولكن يجب ان تعلموا اننا نحن السوريين تلامذة مدحت باشا واننا تلقينا الدستور عنه رأساً ايام كان والياً على سورية وان قلوبنا اشربت حب الدستور وروحه سرت فينا منذ كان مدحت باشا بيننا . وان شباننا الاحرار المستنيري العقول والمثقفين بالمعارف والعلوم عقدوا للدستور الجمعيات السرية منذ اكثر من ثلاثين سنة . ولو وجدوا عوناً من الجيش كما وجدتم ولو ايدوا ممن حولهم كما ايدتم من قومكم لفازوا باعادة الدستور قبلما يبصر اكثركم النور . ولكن الاقدار لم تشأ لهم ما شاءت لكم ففرق شملهم وقضوا معظم سني عمرهم امام مسترين في الخفاء او مهاجرين وغرباء او مجاهدين ومناضلين في سبيل الحرية العثمانية على قدر الطاقة خارج بلادهم . فحب الدستور نما في قلوب كهولهم وانتقل الى شبانهم واحداً منهم . ولكن الله سبحانه وتعالى ابقى نخر اعادته لكم . وهم يغبطونكم على ذلك الآن ولكنهم لا يحسدونكم . ولما سمعوا بفوزكم باعلان الدستور ودك صروح الاستبداد سروا وفرحوا وحسبوا فوزكم فوزاً لهم واعجبوا برجالكم واطنبوا في مدح ابطالكم وجاهروا حالاً بانتصارهم لكم وتعلقهم بكم كأنكم من جملة

أحاديهم بلا فرق ولا تمييز وحسبوا اعادتهم للدستور منة عظيمة قلدتموهم اياها فهم يشكرونكم عليها طول العمر ولا ينسونها لكم ابد الدهر ولكنهم يحسبون ان معاملتكم لهم تكون معاملتهم لكم لو اعلن الدستور على يدهم اي ان يكون العثمانيون كلهم اخواناً في الحقوق والواجبات على اختلاف عناصرهم واديانهم . وهذا هو اعتقادهم الوطيد فيكم وهذا ما يطلبونه ويتمسكون به ولا يرجعون ابداً عنه . على انهم مع محافظتهم على هذا المبدأ الكلي الجوهري بكل قوتهم يراعون مقتضى الحال في اخراجه من القوة الى الفعل . ويرون ان الحال تقتضي الآن ما لا بد منه في اول الامر بطبيعة الشيء وهو ان تكون الارحية لكم في تدبير الامور حتى لا يقع ارتباك فيها ولا يتعذر على العثمانيين بلوغ النجاح بمزاحمة بعضهم بعضاً عليها . ولهذا ترونا مع تمسكنا بمبدأ المساواة الثابتة نظرياً مسلمين بالرجحان الآن لكم فعلياً . ونشبه حالتنا في مملكتنا بحالة البريطانيين في مملكتهم . فالانكليز منهم لا يزال لهم الرجحان فعلاً في امور كثيرة على الاسكتلنديين والارلنديين والولش وان يكن قانونهم يقضي بالمساواة قطعياً . ولكننا ننظر منكم المراعاة التي ينتظرها سائر البريطانيين من الانكليز . ففي كل امر ترى الانكليزي يراعي اخوانه البريطانيين فيقول لا احسب هذه المزية لنفسى حتى احسب ما يقابلها للاسكتلندي والارلندي وابن وويلس وقس على ذلك . وانتم يجب ان تجعلوا هذه المراعاة دائماً نصب عيونكم وتذكروا ان اخوانكم العرب وسائر العناصر متأثر تأثراً عظيماً وتكبر اقل اغفال منكم لهذه المراعاة نظراً الى رجحانكم كفتكم الآن . واما اذا لم تراعوا هذه المراعاة مع العناصر الاخرى بل اغفلتم ذلك كما كان قومكم يفعلونه في العهد السابق فالتشاق يسود على الامة العثمانية عوضاً عن الاتحاد والعاقبة تكون وبالاً على السلطنة

فكان محدثنا يوافق على اقوالنا هذه ويظهر رغبة العنصر التركي الخالصة في مراعاة جميع العناصر العثمانية الاخرى وازالة كل عنب او تأثير من نفوس العرب ويعد بان قومه لا يغفلون شيئاً من ذلك وخصوصاً بعد ما يفرغون قليلاً مما يشغلهم من الشواغل الاخرى الكلية ويتيسر لهم الاهتمام بهذه الامور الحرة بالاهتمام

ومع اننا شعرنا باننا لم نعرف البواطن جلياً في هذه المسألة واننا لم نقف على الاجوبة التي تمكننا من معرفة حقيقتها لكن رأينا هو ان الترك والعرب متحدون وان اتحادهم اتم من اتحاد سائر العناصر العثمانية الاخرى . وان الريب الذي يمكن ان يداخل قوماً من الفريق الواحد والاستياء الذي يشعر به قوم من الفريق الآخر لا يدومان طويلاً اذا تم امر ان احدهما ان

الترك يراعون حاسات العرب وخواطرهم و يظهرون جلياً انهم يقدرونهم قدرهم في معاملتهم لم
والآخر ان العرب يكشفون الترك جلياً بما يسوءهم منهم ويعاتبونهم صريحاً على ما لا يرضيهم
من افعالهم و يظهرون اخلاصهم الحقيقي لهم ولا يقتصرون على الشكوى بعضهم الى بعض وعدم
ابلاغ الترك شكواهم . ولازم هذين الامرين ان يزداد الفريقان تمازجاً وتعاشراً ويزول
الشكف من بينهما على قدر الامكان . وذلك مرجح الوقوع كلما طالت المدة على نواب العرب
في مجلس المبعوثان فان هؤلاء النواب الذين هم من خيرة ابناء العرب يصح ان يقال انهم اخذوا
في المجلس هذه السنة على غرة لانهم وان كانوا يعرفون اللغة التركية فاكثرتهم لم يعتد الخطابة
بها ولا اعتاد الحالة التي اصبحت فيها لما اتى الاستانة كما اعتادها ابناء الترك في تلك المدينة
وغيرها . فتأتى عن ذلك طبعاً ان الذين ظهروا معظم الظهور في المجلس هذه السنة اكثرتهم من
ابناء الترك او الذين رضعوا اللغة التركية مع الابن وعاشوا طول عمرهم مع اهلها . واما نواب
العرب فاكثرتهم لم يتيسر لهم بعد اظهار فضلهم ومنزلتهم من العلم والعقل ولا تيسر لهم ايضاً ان
يطبعوا على نفوس الترك الصورة التي يحبون طبعها عن العرب . ولكن اذا اصاب ظننا فنوابنا
الكرام قد الفوا اليوم الحالة التي كانت غريبة عليهم في اول هذا العام وهم يستعدون منذ الان
لاظهار فضل قومهم العرب الكرام في جلسة العام المقبل

فبحسن مساعيهم وبما تقدم من الملاحظات لا نخشى من وقوع شقاق سيء العاقبة بين
العرب والترك بل نؤمل انه على توالي الايام يقوى اتحادهما حتى يصيرا قدوة لسائر العناصر
العثمانية في الاتحاد والوئام

وحبذا لو صح ذلك على الترك والروم وسيأتي عليها الكلام

(٧) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

الروم وشأنهم الخطير

لما كان العثمانيون مثقفين رأياً على ان اعظم اسباب تأخرهم وتأخر دولتهم هو تعدد
عناصرهم واختلاف اديانهم لم يكد الدستور يعلن بينهم حتى صاروا يبحثون في هل
يتيسر للدستور لم شعنتهم وجمع كلمتهم والتغلب على ما يحول دون ذلك من تعدد عناصرهم
واختلاف عقائدهم . او هل يعجز عن التغلب عليهما ويفضي الامر بسببهما الى زيادة
التأخر والضعف حتى نتلاشى الجامعة العثمانية ويزول كيان الامة والدولة لا سمح الله .
والظاهر ان الرأي الغالت على الباحثين كان ان لا خوف من انفصال العرب عن الدولة

العثمانية مهما ارجف المرجفون . فالدستور يمكن ان يؤلف بين العرب والترك ويجعلها عضوين حين متفقين في جسم الامة العثمانية لانهما اختلف الترك عن العرب لم يزد اختلافهما عن اختلاف اهل بعض الولايات العربية كولاية بيروت مثلاً عن اهل ولايات اخرى عربية كولاية الين او احدى ولايات العراق . بل اننا اذا دققنا البحث وجدنا بين المتعلمين والمتهذبين والذين اكثروا من الاسفار ومعاشرة الامم من العرب والترك جامعات كثيرة تجمعهم معاً ولم نجد بينهم وبين المتأخرين من قومهم غير جامعة او جامعتين بحيث يسهل على هؤلاء الترك والعرب الاتحاد والاتفاق اكثر كثيراً مما يسهل ان على العرب من اهل الولايات السابقة والمتأخرة وكذلك على الترك السابقين والمتأخرين

ويقال ايضاً بوجه الاجمال ان المسيحيين من ابناء العرب يفضلون الاتحاد مع الترك الدستور بين على الاتحاد مع اهل الولايات العربية التي لا يهتمها امر الدستور . ولا يختلف اثنان منهم في ان الاتفاق مع رجال مستيري الازدهان كالأعضاء الترك في جمعية الاتحاد والترقي مثلاً أحب اليهم واسهل عليهم بكثير من الاتفاق مع قبائل البادية او عرب الولايات المتأخرة . وعليه يكون كثيرون من العرب اميل الى الاتحاد بالترك منهم الى الاتحاد بعضهم ببعض ولا يكاد يحتمل ان يتحد العرب اتحاداً عاماً ويطلبوا الانفصال عن الدولة الا اذا اضطروا الى ذلك رغماً عنهم لسبب من الاسباب التي لا يصبر عليها الناس كأن يجور الترك عليهم مثلاً . ويحملوهم فوق طاقتهم ويدلوهم ويمتهنهم ويهضموا حقوقهم التي يمنحهم الدستور اياها حينئذ يجمعهم الشدائد فيتحذون للدفاع عن حياتهم وحرثهم وحقوقهم . ولكن الامل وطيد انه لا يقع في عهد الدستور شيء من هذا القبيل

وكان الرأي الغالب ايضاً ان مزايا الدستور نتغلب على ميل الارمن الى الاستقلال . لانه متى تمتع الارمن بكثير من النعم الدستورية التي كانوا لا يذوقون لذتها في عهد الاستبداد يغلب عليهم الرضى ويضعف فيهم الميل الى الاتحاد القومي على الدولة وطلب الانفصال عنها على ان نتيجة المذايح الاخيرة لا بد وان تضاد هذا الرأي بعض المضادة لسوء الحظ ولكن سعي الحكومة العثمانية الآن في اجراء العدل واقامة الحق وانصاف المظلوم من الظالم لا بد وان يزيل معظم تأثير هذه المذايح من نفوس الارمن . وحينئذ يصح الرأي الذي كان الناس يرونه بعد اعلان الدستور ويترجح ان الارمن يكونون عضواً حياً عاملاً في جسم الامة العثمانية ايضاً

على ان رأي معظم الباحثين كان بخلاف ذلك عن الروم . والمراد بالروم اليونان

النابعون للدولة العلية تمييزاً لهم عن المستقلين المعروفين باليونان . فهو لاء الروم او الاروام تختلف
 حالهم عن احوال سواهم من العناصر العثمانية في كونهم من جنس واحد هم واليونان المستقلون
 اذ ليس بين العناصر العثمانية عنصر غيرهم له من قومه شقيق مستقل ومملكة قائمة برأسها
 ومما هو مشهور عن الروم واليونان ان الجامعة القومية شديدة فيهم جداً واميا لهم الوطنية على
 غاية القوة وحسب الاستقلال فيهم لا يقل عن حب الاستقلال في نفس كل امة مستقلة حية .
 فلذلك ولا خلاف حال الاروام عن احوال سواهم من العناصر العثمانية كما تقدم كان الرأي
 الغالب من بادى الامر انهم سيكونون حائلاً هائلاً وسدّاً محكماً في سبيل اتحاد العناصر
 العثمانية لكي لا يتكون منها في عالم الاجتماع جسم واحد هو الامة العثمانية منفصل ومستقل عن
 كل امة اخرى وخاضع لراية واحدة ولنظام دستوري واحد

وزد على ما تقدم ان ضعف الدولة والخلال ربط الامة في عهد عبد الحميد خصوصاً
 قوى اعتقاد الناس بقرب مصير الدولة الى الزوال وزين لبعض العناصر اموراً لم تكن تحمل
 بها لولا ذلك . فلا عجب اذا عاشت في الروم الآمال بعد ما طوتها الايام وفكر قوم منهم
 في استرجاع بلاد آبائهم واجدادهم واملوا ان يكون ذلك نصيبهم من تركة « الرجل العليل »
 بعد اقتسامها وان يظفروا بالاستقلال والانضمام الى اخوانهم واعادة مجد مملكة اليونان . كل
 ذلك طبيعي والنفس ميالة اليه وما من عنصر الا ويقع فيه اذا حل محل الاروام
 وجرب تجربتهم

ومما يسوئنا ذكره ان رأي الباحثين تحقق ومن قلة الشوفيق ان الخلاف وقع بين الترك
 والروم قبل ان نتخلص من محنة الترك والارمن ولا حاجة بنا الى تفصيل ما وقع بينهم وشرح
 اسباب ذلك الخلاف والنزاع فقد اطلع القراء عليها كلها بالاسهاب في المقتطف . وانما نقول اننا
 لما وصلنا الى الاستانة وجدنا احوالاً مضطربة فيها بسبب هذا الخلاف اضطراباً شديداً
 انسب اهلها ما سواه من المشاغل والمشاكل وان المجادلات الشديدة التي كانت تجري حينئذ
 على بعض المسائل في مجلس المبعوثان كمسائل التعليم والجمعيات ونحوها كان الترك يحسبون ان
 الاروام هم الذين يضرمون نارها ويحسون اوارها وانه لولا هم لما عارض المعارضون تلك
 المعارضة فيها

وقد حادثنا رجالاً مختلفين من الترك في امر هذا الخلاف فكنا نرى منهم تألماً شديداً
 منه وتمللاً وتدمراً من اضطرابهم الى الصبر عليه . لان الاعتقاد الغالب عليهم هو ان الروم
 يفعلون ما يفعلون تحككاً وتحرشاً بهم وتعمداً لتكدير صفوهم والقاء المشاكل في سبيلهم لكي

لا ينجحوا في اصلاح الاحوال وتدبير الامور علماً منهم انه اذا جرى اصلاح وتحسنت امور الدولة خابت آمالهم من الحصول على التركة واسترجاع ميراث آبائهم واجدادهم فهم يخلقون المشاكل عمداً ويقصدون توسيع الخرق قصداً

ومما زاد الطين بلة حدوث مسألة كريت في هذه الآونة ووقوف الاروام في موقف حرج جدّاً بسببها لانهم اذا اظهروا ميلهم الى الكريتيين واليونان استخطوا العثمانيين واذا اظهروا ميلهم الى العثمانيين استخطوا اخوانهم في الجنس واغضبوا الذين يميلون اليهم بالطبع . فلتعدد المشاكل من جهة ولحدوث المسألة الكريئية من جهة اخرى اشدت الجفاء جدّاً بين الروم والترك في الاستانة خصوصاً . ولما كان الروم عثمانيين مثلنا وكانوا يحسب نص القانون الاساسي اخواننا ومنا وفيينا يجب لهم وعليهم ما يجب لنا وعلينا فكل عثماني عاقل يود تدارك هذا الخلاف بما يزيله ومعالجة هذه الحالة المعتلة بحسن السياسة والحكمة . اذ العلاج الوحيد الذي يجب ان يلجأ اليه العثمانيون اليه وان يتسابق عقلاؤهم في مضاربه هو الحكمة وحسن السياسة للتأليف بين القلوب المتنافرة والتوفيق بين المتخالفين . واما ما سواه مثل قيام قوم على قوم وذبحهم بعضهم بعضاً واحراق منازل بعضهم البعض فمن الوسائط الفظيعة التي كان الناس يلجأون اليها في عهد الجهل والتوحش والخشونة ويعاب عليهم الاعتماد على اقل شيء منها في عهد العلم والتمدن والحرية

ولهذا قلنا يوماً لبعض النابغين من شبان الاتحاد والترقي لماذا لا تجنب الحكومة ومجلس المبعوثان الآن كل مسألة لها تعلق بالاخلاقات الجنسية والدينية ولماذا لا يقتصر بحثهما على المسائل العمومية التي هي اولى بالنظر والاهتمام اليوم فانهما لو فعلا ذلك لقضيا مصالح الامة واغنياها عن هذه المشاكل القومية والمذهبية

فقال واي المسائل العمومية تعنون . قلنا اننا نعني مسائل الادارة والقضاء والمالية فالبلاط العثمانية كلها بلا استثناء محتاجة الى اصلاح هذه الامور اشد الاحتياج اذ ادارة الولايات مخلة معتلة ولم تكد تختلف في عهد الدستور عما كانت عليه في عهد الاستبداد بل لا تزال شكوى الناس ماثلة الآفاق ولولا الاحكام العرفية التي وضعت على بعض الولايات فارهبت اهالي الولايات الاخرى ولولا بعض المأمورين الاكفاء المتصفين بالحزم والشدّة في حفظ الامن العام لكان اهل الولايات الآن فوضى يسودهم طغاهم ولا امان لهم على ارواحهم واعراضهم واموالهم . ثم ان المحاكم العثمانية لا تزال اسماً بلا معنى والقضاء شبح بلا روح والعدل لا عين له ولا اثر والاعشار آفة على الفلاح والضرائب تثقل كاهل الاهالي والخرينة

العثمانية في احتياج لا يوصف الى المال . ولو سألت العثمانيين كلهم لاجابوك على اختلاف ملهم ونخلهم ان حاجتنا الكبرى هي الى اصلاح هذه الامور الكبرى واننا نطلب تقديم النظر فيها على النظر في كل ما سواها فلماذا لا نصرف همنا الآن الى اصلاح هذه الامور التي تنشق العناصر كلها فيها . ثم اننا متى اصلحناها وتبين نجاحنا فيها قويت حجتنا عند الجمهور في اصلاح ما سواها وسهل علينا ان نستميلهم الى رأينا وان نجبط مساعي الذين يقصدون معاندتنا ومشاكستنا لافساد عملنا وقضاء مآربهم

فقال ان هذا ما نحن جارون فيه الآن وشرح لنا بعض المشروعات التي تضعها الحكومة العثمانية الآن لاصلاح الادارة والقضاء والمالية (وربما ذكرناها في مكان آخر)

ثم قال اننا نحن لا نريد التعرض للمسائل التي تليق الاختلافات الجنسية والمذهبية بل نسعى جهدا في اجتنابها ولكن الاروام هم الذين يفتحونها ويضطروننا الى مناقشتهم فيها رغمًا عنا كمسألة التعليم مثلاً فان المشروع الذي عرض على مجلس المبعوثان كان مما يتعلق بامر التعليم والمدارس في الحال بلا نظر الى ما يكون في الاستقبال فابي الاروام ومبعوثانهم الا توسيع نطاق البحث في المسألة واكرهنا على البت في امر التعليم والمدارس في المستقبل كالتب بها في الحال . وهكذا شأنهم معنا في سائر الامور فانهم يقصدون معاندتنا واعانتنا

ولما اطال الشكوى من هذا القليل واكثر من التألم من معاندة الاروام ونسبها الى دسائس اليونان قلنا وما الذي تقصدون ان تفعلوه لاصلاح هذه الحال وما هو الرأي عندكم في حل هذه العقدة . فقال الرأي عندنا ان نقابلها بمن يد الصبر وسعة الصدر وتركهم وشأنهم ولا نقابلهم الا بالطرق الدستورية والوسائل القانونية حتى يكفوا ويفرغ جهدهم ويكفوا عن معاندة لا تنفعهم ولا تضرنا لاننا واثقون بقوتنا فلا نخشى بأسهم اذا ارادوا ان يخرجوا مساعيهم من القوة الى الفعل ليضروا بنا . وفي ما سوى ذلك فادام الامر كله كلاماً في كلام فاننا نقابلهم ايضاً بالكلام حتى يعودوا الى طلب الاتفاق والوئام

فلما رأينا هذا الاطمئنان التام من محدثنا وفهمنا ما ينويه الترك ومن معهم من العثمانيين من جهة الاروام احببنا ان نقف على آراء الروم ايضاً فقصدنا الفناز حيث تفضل غبطة البطريك المسكوفي بجديث طويل معنا لخصه في مقالة تالية

(٨) الروم وغبطة بطريك الفناز

مقبرة ايوب اشهر مقبرة في الاسثانة تضم رفات عدد عديد من اولاد السلاطين وعظام

الوزراء وقواد الجيوش العثمانية واكابر رجال الدولة وشيوخ الاسلام والذين كان لهم الصول والطول في زمانهم من الخصيان وفيها القبور المزخرفة والترب الفاخرة . قصدناها صبيحة يوم مع حضرة الفاضل الافوكاتو خليل بولاد فاكبرنا ما فيها من المدافن والقبور ووددنا لو تيسر لنا قضاء الوقت الكافي في تفقد اضرحتها وقراءة ما كتب عليها لان الانسان يستخلص منها تاريخاً نفيساً عظيم القيمة حاوياً اكثر الذين نبغوا من رجال الدولة . وحذا لوقام من ادياء الاستانة من يفعل ذلك قبل ان تذهب عوامل الاهمال والاغفال البادية آثارها على تلك المدافن والقبور بكثير مما قد نقش على تلك الاضرحه من الاسماء والالقباب والتواريخ

وسرنا اليها في طريق ضيقة تعاف النفس المسير فيها ويقلق راكب المركبة من كثرة الطقطقة في مسيره على بلاطها . وبينما نحن نلوم الدليل لانه سار بنا في هذه الطريق ولم يوافقنا على المسير في قرن الذهب كما كان مرادنا كان من جملة ما اعنذر به اليانا اننا قربنا من بطيريكية الفنار وهي مكان تاريخي شهير يقصد السياح رؤيته من الاقطار . فقبلنا عذره حينئذٍ وقلنا سر بنا اذا الى بطيريكية الفنار حتى اذا دنونا منها زالت الصورة العظيمة الفخيمة التي كانت مرسومة لبطيريكية الفنار في الخيال وارسمت على ذهننا صورة بيت كبير ليس فيه شيء من آثار الهندسة او النقش والنحت او الزينة والزخرفة وانما عظمته ومهابته قائمتان بكونه بناءً قديماً ومهداً عظيماً بل اعظم معهد نصراني في الشرق كله . ف شعرنا حين رؤيته بمثل ما شعرنا حين رأينا الباب العالي ودخلنا منه الى الدواوين التي في ساحته او كما شعرنا حين دخلنا مدينة اكسفورد ونظرنا مدارسها وكنائسها لأول مرة ورأينا ان قديميتها هي سر عظمة مبانيها ومهابتها ثم سألنا عن غبطة بطيريك الفنار واعربنا عن رغبتنا في الشرف بمقابلته فقبل لنا انه يقضي الصيف في مكان على البسفور وضرب لنا ميعاد يقابلنا فيه اذا اتينا الفنار فشكرنا وانصرفنا

وفي يوم الخميس (٢٩ يوليو) خرجنا من مشيخة الاسلام الجلييلة حيث تشرفنا بمقابلة مباحثو شيخ الاسلام ومحادثته وقصدنا الفنار فاصعدونا حالاً الى قاعة قد جلس غبطة بطيريك الفنار في صدرها وعلقت على جدرانها صور من تقدمه من البطاركة فاحسن غبطه ملقانا . ولما وجد اننا لا نتكلم بالتركية ولا باليونانية اجلس ترجمانه يترجم بيننا لان غبطه يفهم الفرنسية ولكنه لا يحسن التكلم بها فشرحناله غرضنا من تلك المقابلة ولم نخف عن غبطه ان المقطم فتح ابوابه لشكوى اخوانه من المتمين الى طائفة الروم الارثوذكس في القدس الشريف وفلسطين وانه انتصر لم ايضاً انتصاراً عظيماً وايدهم تأييداً شديداً لاعتقاده انهم مظلومون وان الواجب عليه اغاثتهم لدفع الظلم عنهم

فما علم غرضنا (وظهر لنا انه لم يكن يحجل امر المقتطع قبل تشرفنا بمقابلته) شدد عزائمنا في القيام بخدمةنا حسبما تقتضي به ذمتنا وحسبما يقتضيه شرف الصحافة صناعتنا . وكل ذلك بعبارات منقاة ومعان سامية كان لها احسن وقع في نفوسنا . ثم تنفس الصعداء وقال اننا ننتهم في هذه الايام بمقاومة الدستور وعداوته ولا ادري بأي وجه حق تجوز علينا هذه التهمة لاننا في الاصل من امة قد غرس حب الدستور في طبيعتها فصار يجري في دماؤها وبثوارتها الانباء عن الآباء بالفطرة وزد على ذلك اننا ابنا كنيسته قد اشتهرت على مر الايام والاعوام بانها دستورية النظام وليس دستورية فقط بل دستورية ديمقراطية ايضاً . فكيف يمكن ان نكره الدستور او ان نعاديته حتى ننتهم باننا اعداؤه والمقاومون له . ألا ان الذين يتهمونا بمقاومة الدستور وبالانتصار للاستبداد ويتباهون بانهم اعوان الدستور وحماته هم في الواقع ابعد الناس عن جادة الدستور واقلهم عملاً بمقتضاه واشدهم استبداداً . لانهم يريدون ان نقول في كل شيء قولهم وان نرى رأيهم وان لا نجري الا على هواهم ومرادهم . واذا تمنعنا عن ذلك او ايناه لم يحاولوا ان يقتنعونا به بالبرهان والدليل او ان يحملونا على قبوله باظهار وجوه الفضل والصواب فيه بل قاموا يتوعدونا ويتهدوننا ويجبروننا على مجاراتهم في آرائهم واهوائهم والجري على مشيئتهم ورغبتهم بالضرب والقتل والسجن والتعذيب واقبح وسائل لاستبداد . فلا ادري كيف يحسبون بعد هذا انهم انصار الدستور ويدعون اننا اعوان الاستبداد

لا احد ينكر انه يحق لكل حكومة ان تحافظ على كيانها وتدافع عن نفسها وتضع كل فتنه او ثورة عليها ولم اكن قط لاعتراض انا او غيري على سعي الحكومة العثمانية في قمع كل ثورة تبدو من الاروام واحباط سعي كل من يكيد منهم لما او يتآمر عليها . وانما اقول انه يجب اولاً اثبات حصول الثورة او وقوع المكيدة والمؤامرة . وبعبارة اخرى انه اذا شاع حدوث ثورة او مكيدة يجب قبل كل شيء التحقيق الدقيق لمعرفة ما اذا كان حدوث الثورة او المؤامرة صحيحاً او غير صحيح واذا كان صحيحاً فلعرفة الداخلين فيها من المتهمين ومحاكمتهم ومماقتهم حسب نص القوانين ولمعرفة الذين لا دخل لهم فيها من المتهمين وتبرئتهم وعدم معاقبتهم

هذا الذي نطلبه من الحكومة العثمانية باعتبار كونها دستورية ذات نظمات ومحاكم وقوانين وهو واجب على كل حكومة دستورية واذا حادت عنه ولم تراعه لم يجوز لها ان تدعي انها دستورية

فالذي حصل فعلاً في امر الذين اتهموا بالثورات او المؤامرات من الاروام العثمانيين لم يكن كذلك بل رأينا العساكر ترسل عليهم مجرد شيوع خبر التهمة وتعمل سلاحها فيهم وتدير ايديها بالسلب والنهب في منازلهم وتستحل ما لا يحل وتستبيح ما لا يباح في معاملتهم قبل ان يجري تحقيق او تثبت تهمة او يعرف المذنب من البريء . فهذه الافعال ليست افعلاً دستورية بل هي افعال قلت لدوي الشان عنها انها وحشية بربرية لان كل ما تفعله الحكومة الى حد التحقيق جائز لها ولا يجوز لاحد انكاره عليها . واما في ما وراء ذلك فلا يجوز لها ان تخطو خطوة ولا تفوه بحكم ولا تمد يداً الى احد الا بعد التحقيق ومعرفة البريء من الاثيم

واظال غبطة بهذا المعنى . فقلنا وآي الروم تعنون غبطةكم أروم ايفالي في ولاية ايدين قال اني اعني هؤلاء وغيرهم في كل البلاد فان الاخبار التي تأتينا من كل جهة تدل على ان الناس يعاملون هذه المعاملة فيها . ثم امر الترجمان ان يعطينا صورة من الشكاوي والتقارير المرفوعة الى بطريركية القنار . وقد تصفحناها فاذا هي حاوية اخبار ما اصاب الاروام من ضرب العساكر لهم وسجنهم وتهديد الرعاع بقتلهم ونهب منازلهم في ايفالي وما جاورها وكذلك اخبار الذين حكم عليهم ديوان الحرب بالسجن والعقاب لامور لا تعد جرائم ولا يعاقب الناس عليها في بلاد دستورية

وورد في تقرير منها ان عزيز بك القومندان العسكري الذي اتى ايفالي في ٦ يونيو الماضي قال لمطرانها انكم انتم ايها المطارنة ورجال الاكليروس عموماً تطمعون بالجامعة اليونانية وتعللون النفس بها وتحرضون الاهالي عليها بتعليمكم لم مع ان الواجب عليكم هو ان تقتصروا على اتمام واجباتكم الدينية وان تزيلوا الحاجز الذي تقيمونه بيننا وبينكم فضعوا عقولكم في رؤوسكم واعلموا اننا اعدنا خمس مئة نفس من الصفء المتعصبين مثلكم في الاستانة فاحترز لنفسك مني . وكرر الوعيد ست مرات فتنصل المطران مما يتهم به واحنح على ذلك الكلام . لكن عزيز بك لم يحفل بكلامه وقال انكم تظنون ان اوربا تدخل في مسألتكم وانكم تخرجون فائزين . نعم اننا نخسر ولكننا لا نترك لكم قبل ذلك اثرأ ينظر . فارجعوا عن تعصبكم وكفوا عن بث البغض في صدور بني جنسكم للعناصر الاخرى والا فملت كيت وكيت مما لا فائدة من ذكره ولا غرض في ايراده وانما ذكرنا ما تقدم ليعلم القاري مقدار التأثير الذي توتره تلك الشكاوي في من ترفع اليه

وقال غبطة ايضاً حدثت مسألة كريت هذه الايام وما منا من يقول انه يجب علينا ان

نرضى بفصل جزء من املاك السلطنة عنها والحاقه بغيرها ولا يهون ذلك على احد من العثمانيين
لكننا لزمنا السكوت في هذه المسألة علماً منا ان امرها قد خرج من ايدينا وبات في ايدي الدول
من زمان طويل وانه لا يجري فيها غير ما يقر عليه قرار الدول مهما اكثرنا من القول والوعيد
والابراق الارعاد . واما رجال الاتحاد والترقي فلم يشاؤوا ان يفعلوا فعلنا بل قالوا واعترضوا
كثيراً واحتجوا طويلاً . وماذا كانت النتيجة من ذلك كله اغير قرار الدول ام رد الى الدولة
شيئاً كان قد نقرر اخذه منها وفصله عنها . فلا فائدة اذاً من صياحهم كما انه لا ضرر من
سكوتنا ولكنهم لا يتفون عند هذا الخد بل يتخذون سكوتنا دليلاً على اننا نكره الدولة
ونبغض الدستور ونطلب ان تؤخذ املاك الدولة العثمانية منها وتعطى لغيرها . وليس في
هذا الاستدلال وجه حق ولا انصاف

اننا لا نكره الاتفاق ولا نقاوم الدستور . ولكن رجال الاتحاد والترقي يرمون الى غرض
لا يمكننا ان نوافقهم عليه ولن نرضى ان نجاريهم فيه . فهم يقصدون ان يغلبوا قوميتهم على
قوميتنا وان يثملع العنصر التركي سائر العناصر العثمانية حتى لا تكون الامة العثمانية مؤلفة من
عناصر مختلفة ومختدة معاً في جسم واحد لها حقوق واحدة وعليها واجبات واحدة بل تكون
الامة العثمانية كلها امة تركية يثملع العنصر التركي سائر العناصر ويضعها حتى تصير منه ولا
يبقى لها وجود الا فيه . فلماذا يريدون ان يغلبوا لغتهم على لغاتنا حتى لا يبقى شان لسوى
لغتهم وان يغلبوا كل شيء خاص بهم على ما لسواهم حتى لا يبقى في السلطنة العثمانية غير الامة
التركية . ونحن الروم قد حافظنا على جنسيتنا ولغتنا وعاداتنا وخصائصنا ودياننا كل هذه القرون
ولن نوافق الترك كل دهرنا على ان نضيع ما حافظنا عليه وان نصير منهم وان لا يبقى لما كان
ولا وجود الا فيهم

فقلنا حينئذٍ لسنا نظن يا سيدنا ان رجال الاتحاد والترقي يرتكبون هذا الخطاء بل لا بد
ان يكونوا ادري من غيرهم بان ما لم يفعله الترك في اول حكمهم لا يمكنهم فعله الا ان بعد ان
قوي امر العناصر كل هذا الزمان على اننا لو فرضنا انهم ارتكبوا ذلك الخطاء وقصدوا تغليب
قوميتهم على قومية سواهم الآن فعدم نجاحهم مؤكّد ولا خوف منهم من هذا القبيل لاننا اذا
انعمنا النظر في طبائع العنصر التركي وخصائصه والقوى التي امتاز بها نجد انه لا يستطيع
ذلك التغلب على العناصر الاخرى وابتلاعها وجعلها كلها منه وفيه ولا سيما في هذا العصر الذي
انتشر فيه العلم بين افراد كل عنصر

فلم يوافقنا غبطة على قولنا هذا وقال ان هذا ما يقصدونه وانهم يستطيعون تغليب قوميتهم

على قومية سواهم اذا تركوا وشأنهم . وان هذا ما حدا بهم الى ترك المسائل الكبرى العمومية واصلاح ما تقتقر البلاد كلها الى اصلاحه وفتح المسائل الطائفية التي يقصدون بها سلبنا امتيازاتنا التي تتمتع بها منذ اول حكمهم والتعرض لنا في مدارسنا وتعليم ابائنا . فقلنا ولكنهم هم يشكون من ان فتح هذه المسائل الطائفية كان من قبلكم ويتألمون لانهم يحسبون انكم تقصدون بها مآرضتهم لكي تمنعهم من الاصلاح وتسدوا امامهم سبل النجاح

فقال غبطة اي مصلحة لنا نحن في جر البلية على انفسنا وكيف يعقل اننا نتعرض بهم لكي يتعرضوا لنا في مدارسنا وشؤوننا وينازعوننا في امتيازاتنا . انما هم قصدوا ذلك وهم ساعون فيه وفي فصل قومنا عن كنيستهم وفي ابعاد قومنا عن بطيريكهم ولكن هذا امر لا يتم لهم في عام وعامين بل لا بد له من زمان طويل

فقلنا وما الذي تقصدون غبطتكم اذا ان تفعلوه والحالة هذه . قال ان نحافظ على الحال الحاضرة بكل واسطة شرعية دستورية نستطيعها وان نقاوم بمثل تلك الوسائط كل سعي في ابتلاع عنصرنا وتلاشي قوميتنا

فقلنا وهل تظنون انكم تيجحون في سعيكم ومن يؤيدكم فيه
قال ان املنا وطيد بالنجاح ويؤيدنا فيه كثيرون من رجال الدولة العلية نفسها
فقلنا أمن رجال تركيا المعوز ام من رجال تركيا الفتاة . قال من الفريقين ثم انتقلنا الى بحث آخر

ولما انصرفنا جعلنا نقالب في نفسنا اقواله والاقوال التي سمعناها من بعض رجال تركيا الفتاة فرأينا ان كل فريق يتهم الآخر بانه هو الذي يسعى في فتح المسائل الطائفية التي تؤذي الى الشقاق والخلاف الآن وان كل فريق يقول انه يسعى في دفع تعدي الفريق الآخر بالوسائط الشرعية والطرق الدستورية . فقلنا أليس ذلك دليلاً على ان الوهم والخطأ في الفهم هما اللذان وسعا شقة الخلاف بين الفريقين . وهل كان هذا الخلاف يدوم ويتعاضم لو قام محبو الصلح والسلام ووقفوا بينهما وجمعوا القلوب بربط المحبة والصفاء

لما اعلن الدستور ذهب العثمانيون الى بطيريكية الفناز وقبلوا يد غبطة البطيريك وقالوا له اقوالاً أدت الى ثقبيله لم في جباههم وقوله لم اقوالاً ما سمع العثمانيون الذ واطيب منها طول زمانهم ونسي الفريقان احقادهم . فلو دامت ربط الاخلاص هذه بدوام الانتباه وحسن السياسة أتما كانت ثقتنا شر هذه الاختلافات والعداوات وتوطد الدستور على اركان السلام والوئام

هذا ولا نخفي عن القراء الكرام ان ما رأيناه من تعاضل الجفاء واتساع شقة الخلاف بين الفريقين واعتماد كل منهما على الوقوف بالمرصاد للفريق الآخر ساءنا كثيراً ودلنا على ان الاصلاح الذي يتمناه العثمانيون سيكون سبيله شاقاً جداً وزمانه طويلاً

(٩) الالبانيون والاسرائيليون

يقدر عدد السكان في تركيا اوربا اي في ولايات الاستانة وادرنة وسلاطية وموناستير وقوصوه واشقودره (بالانيا) ويانيا ومتصرفية شاتلج بنحو ستة ملايين وربع مليون نفس . ويقول الذين يوثق بقولهم ان ٧٠ في المئة من اولئك السكان ترك وروم والبان (اونوڊ) وان هذه العناصر الثلاثة متساوية في العدد هناك وعليه يكون عدد الالبان قريباً من مليون ونصف كعدد الترك او عدد اليونان في ولايات اوربا . والذي يعلم ما انصف به العنصر الالباني من الشجاعة والاقدام يقدره قدره من العناصر المؤلفة للامة العثمانية لاسيما وان هذا العنصر وان يكن قديم عهد بين العناصر العثمانية لا يزال في عهد السذاجة الفطرية ولم يبلغ من النشوء والارتقاء شأواً يذكر في قواه العقلية والادبية وقد سمعنا بعض الباحثين يقولون ان هذا العنصر لا بد وان يرتقي ارتقاءً عظيماً في كل جهة نتجه اليها قواه وهم ينتظرون ان يكون له شأن خطير بين العناصر العثمانية وغيرها من الامم المجاورة

ومن غريب ما أخبرنا عنه ونحن في الاستانة انه وان كان تعدد الاديان والمذاهب قد تطرق اليه كما تطرق الى سواه فاصبح فيه المسلمون والمسيحيون واصبح المسيحيون ارثوذكساً وكاثوليكاً لكن الاختلاف في الاديان والمذاهب لم يفرق بين طوائفه قدر ما فرق بين طوائف العناصر الاخرى بل ان صلة القرى وجامعة النسب لا تزالان غالبتين عندهم على جامعة الدين ولاسيما في الجهات الوسطى والشمالية من بلادهم . فترى المسلم يقول هذا ابن عمي ولو كان ابن عمه مسيحياً والمسيحي يقول كذلك . وترى المسيحي يتزوج بالمسلة كما يتزوج المسلم بالمسيحية . وهذا مخالف لما كنا نقرأه عنهم في تاريخهم فقد ورد في التاريخ ان الارنؤوط كانوا كلهم مسيحين وظلوا كذلك حتى مات آخر بطل من رؤسائهم واسمه اسكندر بك سنة ١٤٦٧ وبعد ذلك اخضعهم الترك واسلم كثيرون منهم وقام هؤلاء المسلمون على الذين لم يسلموا من عشائهم وعاملوهم بالشدة والقسوة وفتكوا بهم بلا شفقة وتآصلت العداوات بينهم من ذلك الحين

ولكن يظهر ان معاهدة برلين لم تشعهم وجمعت بين المسلمين والمسيحيين (المردة) في الشمال ثم بينهم وبين سائر الارنؤوط في الثورات المتعددة التي ثاروها لمنع اهل الجبل الاسود واليونان من اخذ ما نقرر في معاهدة برلين ان يأخذوا من بلاد الالبان

والظاهر ان اكثر ما كان من الاختلاف بينهم بسبب اختلاف رؤساء عشائرهم زال الآن وانهم وجهوا عنايتهم الى الاتحاد والائتلاف في عهد الدستور . ولكن لم يتيسر لنا ونحن في الاسانة ان نقابل منهم من يكشف لنا حقيقة الحال عندهم ويوضح آراءهم او اميالم من جهة النهضة الدستورية الحالية . وانما لحظنا من خلال الاقوال التي كنا نسمعها ان جماعات من الالبانيين كلمة نافذة في ما يجري الآن في الدولة . وان لم يفي جمعية الاتحاد والترقي مراعاة واعتباراً . وانه بعد ما اخمد جاويد باشا الثورة التي ابتدأت في اماكن من بلادهم يؤمل ان يخلدوا الى السكون وان يستألو بحسن السياسة وكف الظلم عنهم الى مجارة سائر العناصر العثمانية في الاصلاح والارتقاء . ولكن الذين يناط بهم اصلاح الامور لا يمكنهم ان يغمضوا الاجفان عن مراقبه احوالهم وأميالم لان مثلهم على ما يظهر مثل الواقف على المحور فيمكن ان يميل الى الدولة اذا مال المحور الى تلك الجهة كما يمكن ان يميل عنها اذا مال الى الجهة الاخرى . وهذا ما يقتضي ان يحسب حسابه في الحل والعقد والنقض والابرار حتى يكون كل ذلك بمقدار ولا يخرج الارنؤوط عن حد الرضى والاتفاق

بقينا ذكر عنصر آخر من العناصر العثمانية التي لا بد من ان يحسب له شأن في النهضة الدستورية وهو العنصر الاسرائيلي ويقدر ان عدده يبلغ نحو نصف مليون نفس في تركيا اوربا وتركيا اسيا . لكن يهود الاسانة فاقوا سواهم يوم الاحتفال بعيد الدستور بموكبهم ومظاهر سرورهم بالدستور وقد اخبرنا انه لما زحف جيش الحرية على الاسانة للدفاع عن الدستور كان بين المتطوعين من اهل مكدونيه عدد غير قليل من الاسرائيليين فقاتلوا هم واخوانهم المتطوعون المسيحيون قتال الابطال في الدفاع عن الدستور كما شهد لهم به اخوانهم المتطوعين المسلمين وقد كان بين المندوبين لابلانغ عبد الحميد خبر خلع اسرائيلي من اعضاء مجلس المبعوثان . ويقال ان للاسرائيليين كلمة في جمعية الاتحاد والترقي بسلانيك وان جماعة اسرائيلي الاصل يسمون بالدمه يدهم اهم تجارة سلانيك وانه قام من هؤلاء الدمة اشهر المالين العثمانيين في عهد الدستور

ومهما يكن من هذه الاقوال فالظاهر ان رجال الدولة الحالية يثقون بصدق ولاء الاسرائيليين العثمانيين للدستور وانه سيكون للاسرائيليين شأن في عهد الدستور غير الشأن

الذي كان لهم في ايام الظلم والاستبداد . ولذلك لا يبعد ان تكثر مهاجرة اخوانهم الغرباء الى البلاد العثمانية واستعمارهم الاراضي البائرة الآن كتفارق العراق وغيرها من الجهات التي ليست آهلة بالسكان

فالبيان الذي ذكر في هذه المقالة والمقالات السابقة اولاً عن رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز وثانياً عن العناصر العثمانية وآرائها واحوالها واميالها يجلو للقارئ بعض ما يعترض في سبيل الاصلاح . وبعض ما يساعد ايضاً على النجاح . وكان الواجب لاستيفاء الكلام على العناصر العثمانية ان نذكر الدروز والاكرد ايضاً . ولكن الدروز يتمشى عليهم اجمالاً ما قلناه عن العرب لانهم يعدّون منهم في ما نحن بصدد ذكره وكذلك الكردي يمكن ان يعدوا في عداد الترك او العرب حسب موقع بلادهم . وسنبدي رأينا الحصوصي في الحالة في مقالة تالية ثم نختم مقالاتنا عن زتارة الاسنانة بنظرة عمومية في الاسنانة واهلها وضواحيها والله المستعان

العنكبوت

حقيقة في فكاهة

دخلت غابت باسقة الاشجار ملتفة الانجم يجري فيها نهر متعرج . فلما وصلت اليه شاهدت على احدى ضفتيه عنكبوتاً سمراء اللون جالسة على حجر تنظف وجهها بيديها كما يفعل الذباب وهي نحيفة خائفة القوى . فرأيت ان افضل ما افتتح به الحديث معها السؤال عن صحتها فقلت لها اراك منحرفة المزاج فما يؤملك .

فقلت اني مريضة وخائفة وقلقة .

فقلت ما الخبر ولم يخطر ببالي قط ان عنكبوتاً مثلك تمرض وتخاف وقد خصصت بقوة لم يخص بها سواك .

فقلت وهذه احدى البليتين فان الناس يظنون الظنون ويستنتجون النتائج من مقدمات فاسدة لا تنتج شيئاً ومع ذلك فاني اظن ان قصتي تفتح عينيك فترى الامور على حقيقتها . أعلم اننا نحن معشر العناكب من اكثر المخلوقات اجتهاداً واوسعهم حيلة فنحن اول من طار في الهواء بغير جناح . نعم ان الخفافيش تطير ولا جناح لها ولكن بين قوائمها وظهرها اغشية

رفيقة كالاجنحة ومثلها السناجيب الطيارة اما نحن العناكب فليس لنا اجنحة ولا اغشية ومع ذلك تمكنا من ركوب الهواء ولم يشاركنا في ذلك الا الانسان لكننا سبقناه بقرون كثيرة قل لي متى استطاع قومك الطيران

نقلت سنة ١٧٠٩

فقلت هكذا ظننت اما نحن فقد ركبنا الهواء قبل عصر العمران واليك شرح قصتي —
حدث منذ سنتين ان امي كانت جالسة في قعريتها فاتاها الطلق وجعلت تبيض بيضها واحدة بعد الاخرى وظلت تبيض الى ان بلغ عدد ما باضته ذلك اليوم ثلثة بيضة وخافت ان تنفرك البيوض فلا يعود لها سبيل اليها فجعلت تغزل الخيوط من مغازلها وهي ست انابيب في ذنبها تفرز الخيوط الحريية الدقيقة التي تسمونها نسج العنكبوت وتضربون بها المثل في الوهن لدقتها وهي لو جمعت بعضها مع بعض لصارت امنن من اسلاك الحديد فافترزت كثيراً من هذه الخيوط ولفت بيضها بها وكررت لفه حتى صارت البيوض كلها كرة كبيرة تحيط بها خيوط صفراء كالزغب الواهي او كرش النعام . ولما تم لها ذلك حملت هذه الكرة بين فكها وخرجت من بيتها قاصدة ان تصعد بها الى مكان عال لا يصل اليه ماء النهر اذا فاض في الشتاء . وبعد تعب كثير وجهد عنيف وصلت الى مكان عال ووضعت بيوضها في ثقب غائر بين الصخور ثم عادت الى بيتها على ضفة النهر . ولورانا احدانا واخواتي في ذلك اليوم والايام التالية لظننا بزوراً دقيقة اجتمع عليها زغب الحرير ومع ذلك لم نخل دقيقة من الخطر في ذات يوم زارنا طائر قبيح المخبر ولو لم يكن قبيح المنظر مبرقش بالزرقة والصفرة لكي يخفي شراسة اخلاقه وجعل يفتش بين الشقوق والنخاريب ويستخرج الديدان والحشرات منها وياكلها ولحسن حظنا كانت امنا قد اخفئنا في نقرة عميقة فلم يهتد اليها . ومر بنا فصل الشتاء ونحن يعض ثم خرجنا من بيوضنا في الربيع ولم نخرج منها ديداناً بل خرجنا عناكب دفعة واحدة وهذا امر يستحق الاعتبار فان الفراش والنحل والخنافس تخرج كلها ديداناً صغيرة ثم تصير زيراناً قبل ان تبلغ درجة الكمال اما نحن فمميزات عليها كلها لاننا نخرج من البيض عناكب كاملة كما نخرج اصدقاؤنا الجنادب . خرجنا من بيوضنا ولكننا كنا صغاراً كروؤس الدبابيس ولما خرجنا لم نستطع ان نرى الاشياء واضحة لاننا كنا محاطات باغشية رقيقة صيانة لنا كما تصان الجواهر في اكياسها . ولقد كنت اول من مزق كيسه وخرج منه فلما انجلت عيناى ذهلت عن نفسي بما رأيته حولي من اتساع الوادي الذي كنا فيه وكبر كل ما حولي بالنسبة الي فكنت ارى النبتة الصغيرة فاحسبها شجرة كبيرة لكنني شغلت عن ذلك حالاً

بما رأيته حولي من كثرة اخواني اللواتي خرجن من بيوضهن مثلي وبينما انا انظر اليهن سمعت صوتاً يخاطبنا بلهجة الامر الناهي فالتفت واذا المتكلم عنكبوت كبيرة جالسة في باب بيتها وهي امنافاصغينا اليها فقصت علينا خبر ما اصابها من العناء بسببنا اما انا فلم يذهلني خبرها قدر ما اذهلني شيء رأيته تحتها وهو كأنه عنكبوت ميتة فلما اتمت حديثها قلت لها ما هذا الذي اراه تحت اقدامك يا اماء

فقلت هذا ابوك يا ولدي

فقلت ولكنني اراه ميتاً لا حراك به

فتمسكت وقالت نعم هو ميت فقد انقضت ايام الافراح ولم يعد لي به ارب فقتله ومصصت دمه ولم يبق منه الا جلده وساجعله فراشاً لي وهو فراش وثير في ليلة ندية مثل هذه

فقلت لها هل اتزوج متى كبرت وآكل زوجي

فقلت لا لانك انت ذكر يا ولدي وستأكلك زوجتك كما اكلت انا اباك ولا تدن مني الا ان لاني احياناً آكل اولادي ايضاً

هذا اول نبي سمعته في حياتي فما اتعس هذه الحياة هل تصور حياة اتعس منها فقت له بعد ان عرفت انه ذكر الا ان عرفت لماذا انت خائف كاسف البال ولكن لك اسوة بنا فكم من رجل منا اكلته زوجته

فقال ألا تريد ان تسمع نعمة قصتي

فقلت بلى هات ما عندك

فقال حالما انبأنا امي انها تأكل اولادها اطلقت ارجلي للريح وهربت من وجهها نازلاً نحو النهر حتى وصلت الى مائه فوجدت انني استطيع ان امشي على الماء كما امشي على اليابسة فسررت بذلك جداً

فقلت له هذا امر لم اكن اعلمه

فقال انك لا تعلم مقدار ما نستطيعه اذا اضطررنا اليه . نعم ليس كل العناكب تستطيع ذلك ولكن بعضها يستطيعه وانا منهم ومن النسبائنا نوع يغوص في الماء ويسكن في فقاعة من الهواء ونوع يشب على الارض مثل القنقر ولا غرابة في مشينا على الماء فان بيننا وبين السرطين نسباً ولو كان بعيداً

فقلت له اصب فانك تشبه السرطان في شكك

فقال نعم ولكن السرطان لا يكسفي بئاني ارجل مثلنا بل له عشر ارجل ولماذا نقطع عليّ
الحديث دعني اتم قصتي . لما رأيت انني امشي على وجه الماء بادرت الى اقرب قصباء واخذت
النسج بيتاً لنفسي لكي اجعله مصيدة للذبان وقبل ان اتممه مشيت على قصبه فوجدت عليها
حشرات صغيرة خضراء اللون خالية من الاجنحة فقبضت على واحدة منها والتهمتها فاستبطتها
فجعلت النهم الواحدة بعد الاخرى حتى انتفخ بطني وشعرت كأنه كاد ينشق
فقلت له كيف كنت تلتهمها اكننت تباعها بلعاً

فقال كلاً بل كنت اشق ظهريها من بين كففيها وامتص دمها فلا ابق في جسمها شيئاً
غير جلدها . ولما شبعت عدت الى بناء بيتي فاتممه وجلست فيه اترقب وقوع الذباب فوقه فيه
ذباب كثير فاكلت وسمنت جداً حتى كنت اضطر ان اخلع جلدي مراراً لانه لم يعد يسعني
وكثيراً ما كانت تنقطع يد او رجل مني وقت خلعه
فقلت كيف ذلك او لم يكن قطعها مؤلماً حتى تشكم عنه بدم بارد

فقال بلى كنت اتألم نوعاً ولكن نحن العناكب لا نتألم مثلكم ولا مثل الديدان فاذا
انقطعت رجل من ارجل الدودة ماتت حتماً واما نحن العناكب فاذا قطعت رجل من ارجلنا
نبنت لنا رجل اخرى بدلاً منها وقد قطعت اثنتان من ارجلي فنبت لي غيرها . ولا داعي
للاطالة في تاريخ حياتي عند ذلك النهر فادعه واقص عليك قصة غيرت مجرى اموري . كنت
ذات يوم جالساً في بيتي اتردد على بابي داخلاً خارجاً لهلي ألفت اليّ ذبابة كبيرة واقفة على
قصبه امامي وبينما انا انظر اليها واتأمل جناحيها اذا بالجناحين سقطا عن بدنهما بقعة واذا بذلك
الذبابة قد صارت بعد وقوع جناحيها نملة كبيرة كاقبح ما يكون من النمل
فقلت له الا تعلم ان ملكات النمل يرمين اجنحتهن بعد زواجهن

فقال كلاً لم اكن اعلم ذلك فوقفت مدهوشاً وقبل ان افيق من دهشتي جعلت النملة
تتاجي نفسها وتقول هلا هلا لقد كان الواجب عليّ ان اعرف ان جناحي يسقطان اليوم فلا
ابقي هنا فوق الماء ولولا هذا القصب وامكان المشي عليه الى البر لقضي عليّ . ما هذا امامي هذه
عنكبوت اذاً اخذها معي الى قريتي واكلها على مهلي

وانت تعلم ما حاق بي حينئذ فرميت بنفسي من بيتي الى الماء واخذت اسبح بكل جهدي
ولم ابعد الا خطي قليلة حتى رأيت حركة عنيفة في الماء فالتفت واذا انا بخنفسة كبيرة من
خنافس الماء وقد رفعت ذبانتها ووجدت في اثري سباحة . ونظرت امامي اريد الحرب واذا انا
بدودة كبيرة من الدود الذي يتكون منه زنبور الثنين وعيناها كمصباحين مثقلين فسدت في

وجهي مسالك الماء واليابسة ولم يبقَ أمامي إلاَّ الهواء فوثبت الى ورقة من ورق زنبق الماء
ولجأت الى سليقة اسلافي وافرزت من مغازلي الستة التي في ذنبي ستة خيوط حريرية دقيقة
فالتجذرت معاً وطارت في الهواء خيطاً واحداً برّاقاً كالبلور فتشبثت به وطرت بمجاري الرياح
التي كانت تمددها حرارة الشمس وترسل بها صعداً ثم عثت بي النسيم فحملني الى حرجة من
الصنوبر وسار بي فوقها وفوق السهول المجاورة لها ورأيت في طريقي كثيرات من اخواني
راكبات بالوناتهما وسائرات بين الارض والسماء ولكنني رأيت طيوراً صغيرة من النوع
المعروف بالسنونو تنقضُ عليها وتخطفها فقلت ويلاه حتى في الهواء لا نسلم من الاعداء ومن
اراد السلامة لم يجدها ولو اتخذ لها نفقاً في الارض او سماً في السماء . فاطلت خيطي وجعلت
اهبط رويداً رويداً الى ان وقعت على بعض الهشيم ولم اكد اصل اليه حتى رأيت زنبوراً
كالثنتين واقفاً في انتظارني . ونحن العناكب لا نخاف من الزنابير اذا كنا في بيوتنا بل نخلل
عليها وننسج حولها خيوطنا حتى نمنعها من الحركة ثم نمص دماها وهي كبيرة كثيرة الغذاء
فنفثت بها اياماً واما اذا رأتنا خارج بيوتنا فانها تنقم منا فيهمج الزنبور على العنكبوت ويقبض
عليها بفكيه ويحتملها الى بيته ويأكلها دفعة واحدة ولا مأرب لي بذلك ولم تخني الحيلة
فقطعت خيطي وارتميت في الهشيم كقطعة من الحجر فوصلت الى اسفله وقد شلَّ
الخوف اعصابي

وابرقت السماء وارعدت تلك الليلة وسقط برد كبير وقت في الصباح واذا الريح تهب
باردة والسماء مغطاة بالسحب فصغرت نفسي في شعرت بوحدة ووحشة فصعدت على رأس
الشجرة التي كنت فيها وافرزت الخيوط من مغازلي وصعدت بها الى الجوف ساقتني الرياح ورميتني
على ضفة النهر في المكان الذي قضيت فيه زهرة صباي . واعندل الهواء حينئذٍ وكنت قد
بلغت اشدني فتاقت نفسي الى زوجة تكون معي

فقلت مالك وللزوجة وانت تعلم عاقبة امرك معها

فقال ما العمل والحب قهار فنزوجت وقضينا شهر العسل والان حُمَّ القضاء

قال ذلك وهو ينظر يمينه ويسرة كالمتحير . وبينما هو كذلك واعضاؤه ترتجف خوفاً وانا
انظر اليه مدهوشاً خرجت عنكبوت كبيرة من الغار ووثبت عليه فحاول دفعها عنه ولكنها
امسكت به وخطفت انفاسه وفي اقل من خمس دقائق تركته جلاً خاوياً . انتهى عن
الانكليزية بتصرف

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

Aquila chrysaetus. E. Golden eagle

F. Aigle doré, aigle fauve

الزُجج . العَجَز

نوع من العقبان يعرف عند الافرنج بالعقاب الذهبية وكان العرب والعجم يصيدون به كما جاء في كثير من مؤلفاتهم في المخصّص عن ابن دريد « الزُجج ذكر العقبان وقيل هو جنس من الطير يصاد به » وعن صاحب العين « الزُجج طائر دون العقاب في قوته حمرة غالبية للقيمة تسميه العجم دو بردران » (اي الاخوان) وفي حياة الحيوان « الزُجج مثال خرّد طائر معروف يصيد به الملوك الطير واهل البزدره يعدونه من خفاف الجوارح وذلك معروف في عينه وحركته والحمود من خلقه ان يكون لونه احمر وهو احد نوعي العقاب قال ابو حاتم ^(١) انه ذكر العقاب وقال الليث الزجج طائر دون العقاب حمرة غالبية تسميه العجم دو بردران وترجمته اذا عجز عن صيده اعانه اخوه على اخذه . . . ولا يخفى ان جوارح الطير اناثها اكبر من ذكورها واقوى منها جناحاً وكان اهل البزدره يفضلون الاناث على الذكور من البزاة والصقور والشواهين لكنهم كانوا يصيدون بذكور العقبان لان اناثها قوية جداً وصعبة المراس . قال السيد محمد المنكلي ^(٢) « من استعمل العقاب بغير معرفة خشي عليه من العطب فانه مع الرجل الواحد الذي ليس معه رفيق عدو قوي . حدثني ناصر الدين الكردي ان شخصاً من الغواة الصيادين كان معه عقاب فرماه على طريدة ففاته وكان صاحبه اذ ذاك فارساً فطار العقاب وانقض على صاحبه فالتقه عن فرسه . . ولذلك قال بعضهم ان الزجج طائر دون العقاب والبعض الاخر انه ذكر العقاب وكلا القولين قريب من الصواب

(١) لاني حاتم كتاب في الطير لم اقف عليه ويظهر من الاقوال المأخوذة عنه في كتب اللغة انه من التأليف النفيسة وقد اخبرني الاستاذ الشيخ طاهر المغربي ان في الاساندة نسخة مخطوطة منه فمسي ان احمد بك زكي ياتي بنسخة من هذا الكتاب مع غيره من الكتب التي شرع في استنساخها هناك

(٢) كتاب انس الملا بوحش الفلا للسيد محمد المنكلي كتبه في ما يظن في القرن العاشر من التاريخ المسيحي وهو مطبوع طباعاً سفيماً في باريس وفيه اغلاط كثيرة اكثر مما عرفت عن الاصل ووجدت نسخة مخطوطة منه في المكتبة الخديوية . والكتاب يبحث في الصيد والبزدره ولم ارجع في هذا الموضوع في المؤلفات العربية سوى في هذا الكتاب وكتاب الاعتبار لمؤيد الدولة اسامة المعروف بابن منقذ كتبه في القرن الثاني عشر المسيحي

اما العجز فقد جاء عنه في المخصص انه « طائر يضرب الى الصفرة يشبه صوته نباح الكلب الصغير يأخذ السخلة فيطير بها من عظمه ويحمل الصبي الذي بلغ سبع سنين ونحوها ويصيد الفردة والوبار ويأخذ غثرة الطير قال ابو حاتم اظنه الزجاجة »

Circæus gallicus. E. Short-toed eagle

F. Aigle-busard, circaète.

❖ الصَّرَّارَة ❖

نوعٌ من الجوارح يأكل الحيات ويعرف في الشام بابي صوي . قال ابو حاتم « الصَّرَّارَة عقاب عظيمة كدراء تضرب الى التوشيم ولا تصيد غير الحيات » (المخصص) . فوصف الصَّرَّارَة ينطبق على هذا النوع من العقبان وهو كثير في الشام ولعلها سميت بذلك من الصرَّ أي التصويت وهو سبب تسميتها بابي صوي ايضاً عند عامة اهل الشام

Serpentarius Secretarius. E. Secretary bird

F. Secrétaire, serpenteaire

❖ الكاتب ❖

نوعٌ من الجوارح يأكل الافاعي ويوجد في اواسط افريقية وجنوبها ويعرف في السودان بالحبيب وفي الحبشة بفرس الشيطان . اما تسميته بالكاتب فعن المقتطف (مجلد ١٨ صفحة ٤٥٦) وهو تعريب الاسم الافرنجي . وقد سمي هذا الطائر في دائرة المعارف بابي صوي والحقيقة ان ابا صوي هو الطائر المذكور آنفاً فالكاتب لا يوجد في الشام بل في افريقية فقط

ومن المحتمل ان الكاتب كان معروفاً عن العرب ولعله الشاهمرك او الشامرك او الشاهمرك (معرب شاه مرغ بالفارسية أي ملك الطير) . وزعموا انه يأكل الحيات (كتاب الحيوان للجاحظ ١٤ : ١ و ٥٥ : ٤ و ١٢٤ : ٦) . وقد جاء في الديميري ان الشامرك الفنى من الدجاج . وسماه الافرنج بالكاتب لان ريش قنبرته يشبه ريشة الكاتب اذا وضعها فوق اذنه

Haliaëtus albicilla. E. Sea-eagle.

F. Aigle de mer, orfraie, pygargue.

❖ عقاب البحر . الشَّمِيْطَة ❖

نوعٌ من العقبان البحرية وهي بيضاء الذنب واكلها السمك ولم اقف على اسم عربي لهذا الطائر لا في كتب اللغة ولا في غيرها من المؤلفات العربية فعقاب البحر تعريب الاسم اليوناني والشميطة هي الاسم الذي يعرف به هذا الطائر في بعض انحاء القطر المصري واظنها في الاصل العقاب الشميطة او الشميطة الذنب واللفظة فضيحة

ففي محيط المحيط « طائرٌ شميظ الذنابي أي اشعلها » والشعل البياض وهذا الوصف يصدق على العقاب البحرية كما يفهم من اسمها الآخر اليوناني Pygargos

قلت ان هذا الطائر يعرف بالشميطة عند بعض المصريين وقد اخذت ذلك عن كتاب طيور مصر والشام لسافيني حيث قال ما تعريبه « ويسمى هذا الطائر الشميطة عند المصريين المقيمين على شواطئ بحيرة المنزلة وبحيرة البرلس ويطلق هذا الاسم أيضاً على كاسر العظام في بعض الاماكن الاخرى (1) »

ولعل هذه العقاب تسمى العجزاء عند العرب ففي محيط المحيط « العجزاء من العقاب القصيرة الذنب والتي في ذنبها ريشة بيضاء والشديدة دابة الكف » وفي المخصص « العقاب العجزاء اذا كان في ذنبها ريشة بيضاء او ريشتان وقيل هي الشديدة الدابة » واللفظة قريبة المعنى من pygargos اليونانية أي الابيض العجز ومنها pygargue بالفرنسوية

بعد ما نشرت مقالتي عن كاسر العظام في مقتطف يوليو من هذه السنة وقفت على مقالة للاب انستاس الكرملي في هذا الموضوع تقريباً (مجلة المشرق ٣ : ٧٣٢) وهي كغيرها من مقالات الاب انستاس حافلة بالفوائد العلمية والمباحث الدقيقة لكنني اخالفه في ترجمة كاسر العظام والمكلفة فهما Gypætus وليس Haliætus كما يتضح مما يأتي

اولاً — لا خلاف في ان كاسر العظام هو المسمى Phene عند اليونان و Ossifraga عند الرومان وقد اجمع المحققون من علماء الافرنج على انهما الطائر المعروف عند العلماء في يومنا باسم Gypætus barbatus (راجع لفظة Phene في المعجمات الفرنسية و Ossifrage في معجمات الكتاب المقدس) وقد ذكر سافيني في كتاب طيور مصر والشام اسماء هذا الطائر من زمن هوميروس الى ايامه واوصله البحث الى انه الطائر المعروف باسم Gypætus barbatus عند العلماء وكاسر العظام عند العرب . ولا انكر ان كثيرين من الافرنج اطلقوا لفظة Ossifraga على عقاب البحر ايضاً لكنه خطأ وقد اشار الاب انستاس الى ذلك . اما اشتقاق لفظة Orfraie الفرنسية من Ossifraga فلا نقدر ان نخذه دليلاً على انهما طائر واحد فلفظة Osprey الانكليزية مشتقة منها ايضاً لكنها تطلق على طائر آخر لا هو هذا ولا هو ذاك بل المسمى Pandion haliætus عند العلماء و Balbuzard عند الفرنسيين

ثانياً — ورد ذكر العقبان في التاريخ الطبيعي لبلينوس الروماني وقال عن عقاب البحر وكاسر العظام ما تعريبه «بقي عقاب البحر *Haliaeetus* وهي حادة البصر ترفرف في السماء حتى اذا رأت سمكة في الماء انقضت عليها وشقت الماء بصدورها واخذتها» ثم بعده ما تعريبه «وذكر بعضهم نوعاً آخر من العقبان يعرف بذئ الحية وهو كاسر العظام التوسكاني» (الكتاب العاشر الفقرة الثالثة) . فتجد انه لقب كاسر العظام بذئ الحية وهو يعرف بهذا الاسم ايضاً عند العلماء لان له ما يشبه الحية ويسميه عرب السودان ابا ذقن كما ذكرت في مقالتي السابقة

ثالثاً — قال الاب انتاس ما نصه «ومن اسمائه كاسر العظام وكذلك معنى اسمه الثاني عند الفرس اي أستخوان وعند اللاتين اي *Ossifraga* وعند اليونان اي *Ostokopos* وانما دعي بهذا الاسم لانه من بعد ان يأكل لحم الحيوانات يخلق بالعظام في الجو ثم يري بها على الصخر فتكسر فينتقيها اي يستخرج منها» فهذا القول كله صحيح لكن الطائر الذي تنطبق عليه هذه الصفة هو المسمى *Gypætus* وليس *Haliaeetus* او *Orfraie* كما تجد في اكثر كتب الحيوان الحديثة . وسأتي بشاهدين فقط واشير الى غيرها للرجعة في بعض الكتب الحديثة ما تعريبه «وهو (اي *Gypæte barbu*) يصيد الحيوانات الحية في بعض الاحيان وفي غيرها يأكل لحوم الحيوانات الميتة وله ميل شديد الى العظام يلقيها على الصخور فتكسر فياكل منها^(١)» وفي غيره «وله» (اي *Lammergeier*) ميل الى العظام فيلقبها من حلق على الصخور فتكسر ويقال انه يفعل ذلك ايضاً بالسلاحف في بلاد الجزائر . ويعرف في اسبانيا بكاسر العظام ويرجع انه كاسر العظام المذكور في الكتاب المقدس^(٢)» . (راجع ايضاً حيوانات فلسطين ونباتاتها للقانون ترسترام ولفظة *Ossifrage* في موسوعات الكتاب المقدس)

اما الطائر الآخر فلا يمكن ان يفعل ذلك لانه يأكل الاسماك وهي لاخ في عظامها

البازي والباز والباري ❖ *Falco. E. Falcon. F. Faucon* جنس من الجوارح يصاد به وهو انواع كثيرة . واللفظة فارسية يقابلها ما يشبهها في غيرها من اللغات

(1) Les Animaux Vivants du Monde, II, 86

(2) The Royal Natural History, IV, 253

مثل باك بالمصرية والقبطية و *buteo* بالرومية و *buse* بالفرنسوية و *buzzard* بالانكليزية لكن الالفاظ الثلاثة الاخيرة ليست ترجمة البازي بل تطلق على طائر آخر من الجوارح سيأتي ذكره

ومما يحسن الاشارة اليه هنا الباز يار والباز دار *fauconnier* والبزذرة *fauconnerie* وهي الفاظ اخذها العرب عن الفرس

❖ الصقر *Falco sacer*. E. Saker falcon F. Sacre وفيها لغات . نوع من الصقور يصاد به . ولا يخفى ان الصقر في اللغة كل طائر يصاد به من البزاة والشواهين وما اشبهها وهو *Accipiter* عند الرومان و *Épervier* عند الفرنسيين و *Hawk* عند الانكليز الا ان اهل البزذرة وبعض مؤلفي العرب خصوا الصقر باحد انواع البزاة . قال الدميري « والصقر احد انواع الجوارح الاربعة وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي » . والسيد محمد المنكلي افرد باباً خاصاً للصقور وباباً آخر للبزاة والشواهين وفضلاً عن ذلك فان اهل مصر والشام في يومنا يطلقون هذه اللفظة على طائر بعينه وهو المذكور آنفاً

اما اصل هذه اللفظة ففيه خلاف فقد جاء في الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادنى شيران « الصقر معرب عن الفارسي جَرُغ بتقديم العين وجعلها قافاً او عن التركي جاقروها بمعنى » وفي الفروق للاب هنري لامنس اليسوعي انها من *Sacer* باللاتينية (صفحة ١٦١)

❖ السُنْقَار . السُنْفَار . السُنْقُور . السُنْقُر . السُنْقُور (نثرية)

Hierofalco. E. Gerfalcon. F. Gerfaut

طائر من الجوارح وهو اعظم من الصقر واجمل منه صورةً ويوجد في البلاد الشمالية ويظهر من وصفهم له وقولهم انه يؤتى به من الصين والبلاد الشمالية انه الطائر المعروف عند العلماء باسم *Hierofalco* في حياة الحيوان الكبرى ما نصه « السقر (صوابها السنقر) قال القزويني انه من الجوارح في حجم الشاهين الا ان رجليه غليظتان جداً ولا يعيش الا في البلاد الباردة ويوجد في بلاد الترك كثيراً . وفي عجائب المخلوقات للقزويني (طبع غوتنجن ٤١٦) « سنقر طائر من جوارح الطير في حجم الشاهين الا ان رجليه غليظتان جداً قالوا انه يكون ببلاد الترك ولا يعيش الا في البلاد الباردة » . فتجد ان الدميري قرأ اللفظة خطأ وكتبها السقر وهي السقر ايضاً في عجائب المخلوقات طبع مصر (سنة ١٣١٩) وصوابها السنقر

كما هي في طبعة غوتنبخ وكما يتضح من ورودها في محلها حسب ترتيب الحروف الهجائية .
اما في الديميري فهي خطأ في الاصل وليس في النسخ وهي ليست السقر لغة في الصقر فهذه
ذكرها الديميري في محلها في باب الصقر

وقد ورد ذكر السنقر في كتاب انس الملا المذكور آنفاً (صفحة ٩٨ لكن اللفظة مكتوبة
الشقر خطأ في النسخة المطبوعة في باريس) قال « وثمنه ألف دينار الى خمسمائة دينار وذلك
لانه قليل الخروج من بلاد الكرج لقلته عندهم ولا يخرج الا على سبيل المدينة للملوك »
وفي الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادنى شير ما نصه « الشنقار معرب شنغر وهو طائر
من جنس الصقر يصيد ويعمر زمناً طويلاً وهو لا يوجد الا في نواحي الصين ومقبول
كثيراً عند الملوك وهم يهدونه بعضهم بعضاً (البرهان القاطع) »

ووصف السنقر في كتب الافرنج يطابق وصفه في كتب العرب والفرس ففي بعض
مؤلفاتهم ما تعريبه « والسنافر Gerfalcons) لاسيا البيض منها مرغوب فيها عند البزارة
وكانوا يشترونها باثمان غالية ٠٠٠٠٠ وهي وان تكن اعظم من البزاة واقوى لكنها ابرد
منها طبعاً ويرجع انهم كانوا يتنافسون بها لجمالها وعظم خلقها » (١)

وقد بحث كاترمير (٢) في اصل هذه الالفاظ وترجمها Gerfant وقال انها نثرية مغولية
وهي شنقون بلغة المانشو وذكر انهم كانوا يلقبون بعض الممالك في مصر بالسنقور منهم
قره سنقور وآق سنقور أي السنقور الاسود والسنقور الابيض

وفي اكثر المعجمات تجد لفظة Gerfant او Gerfalcon مترجمة بالشاهين وهو خطأ
ظاهر فالشاهين كثير الوجود في الهند وفارس والشام ومصر واما الآخر فلا يوجد الا في
البلاد الشمالية . وسيأتي ذكر الشواهين والبزاة على انواعها في العدد القادم ان شاء الله
الدكتور امين المعلوف

(١) The Royal Natural History, IV, 179.

(٢) Histoire des Memlukes, I, 90.

مستقبل الهيئة الاجتماعية

ان من يقرأ علم الاجتماع ويشرف على مبادئه العامة لا ندحه له من الشؤف الى معرفة مستقبل العمران البشري . والانسان خلق نزوعاً الى استطلاع الخفايا واستكشاف الخبايا فلا يقنع بما يقف عليه من حوادث الادوار الخالية بل يريد ان يعلم شيئاً عن مصير الانسان واذا وجد رأياً لفيلسوف من الفلاسفة عما يتعلق بالمستقبل اعنصم بذلك الرأي ولو كان واهناً وربما حسبه حقاً راهناً . قال سبنسر في هذا الصدد « اني لا اميل الى الرجوع بالغيب والتكهن بمصير المجتمع الانساني على اني قد ارى نقصاً في علم الاجتماع اذا كان يمكننا من الحكم على الحوادث الماضية فقط ولا نستطيع ان نعلم بواسطته شيئاً عن الحوادث المستقبلية . وربما ارتاب الاكثرون في نفع هذا العلم اذا كانت آراؤه مقصورة على الزمان الغابر او لم يكن اتخاذ قسماً يستضاء به في البحث عن حالات المستقبل المظلمة . على ان العوامل التي تعمل في الهيئة الاجتماعية كثيرة وبينها مبادئة عظيمة . ناهيك انه يظهر حيناً بعد حين عوامل جديدة لم تكن منتظرة . وهذا الثباين يعترض دون التنبؤ عما يطرأ على المجتمع الانساني في المستقبل . ثم ان تقدم العلم الطبيعي قد اثر كثيراً في النشوء الاجتماعي وسوف يظهر تأثيره ايضاً في المستقبل . وكما تقدمت العلوم الطبيعية لتقدم الصناعات البشرية وهذا التقدم يأول الى تغيير كبير في الهيئة الاجتماعية وعدا ذلك فان انتشار العلم الصحيح بين البشر قد غير شيئاً كثيراً من افكارهم واعقاداتهم بالمادة والقوة التي تفعل في المادة وهذا التغيير لا بد ان يفضي الى التأثير في الاديان فيرتخي الوازع الديني الذي يعد الآن اساس الالتزام الاديبي وقبل ان يحل محله نظام ادبي مؤسس على حقائق علمية صرفة لا مناص من حدوث هدة تضعف فيها الآداب لضعف الوازع الديني . ومن الغريب اننا بينا نرى فئة كبيرة من البشر ترتقي في عقائدها وافكارها الدينية وهي الفئة المنورة التي تلجأ الى الاجتهاد فانا نشاهد فئة اخرى ترجع القهقري وتحافظ على ماخذها الدينية فيعظم بينها نفوذ الرؤساء الروحيين . وقد نعتذر معرفة النتائج التي تنجم عن هذا الاختلاف . وفوق ذلك فان هنالك تفاوتاً في اساليب التربية التي تربي بها طبائع الانسان في العصر الحاضر فمن الناس من تربي فيهم غرائز حب القتال وسفك الدماء فينشأون على ما كان عليه الناس في عصور الممجية يوم كانوا يغزون بعضهم بعضاً ومنهم من يعنون بتربية العواطف السامية في الانسان ومثل هؤلاء بهئات الخيرة وجماعات كثيرة تهمحض لنفع الناس

وترقية اخلاقهم وهكذا فانك ترى حرباً اديية بين البشر لا تعلم عقباها ولا يدرك مصيرها ان المؤثرات التي تؤثر في حالة الانسان الاجتماعية تثكيف بتكيف عيشته فان عاش منفرداً عن سائر البشر فيفعل كل شيء تسوقه اليه سليقته ولا يؤثر فيه سوى محيطه الطبيعي وفي هذه الحالة يكون هو المسيطر الوحيد على نفسه واما اذا خالط الناس فيصبح عرضة لعوامل اخرى فيضطر احياناً ان يفعل افعالاً لا يهوى فعلها او يتجاشى عن امور يرغب فيها ويحدث هذا فيما اذا عاش بين جماعة معادية لجماعة اخرى فيكون هو مكرهاً ايضاً ان يعادي تلك الجماعة واذا اوعز رئيس جماعته الى افرادها ان يقوموا ويحملوا على الاعداء او يغزوهم فلا مناص له من مشاركتهم في حملتهم وغزوتهم واذا لم يصدع بامر الرئيس فيعاقب بان يبعداو يعذب او يطرد طرداً من بين تلك الجماعة. وكلما كانت الكراهية شديدة بين القومين قويت شوكة الرئيس فيضطر الافراد ان يخضعوا لزعيمهم خضوعاً مطلقاً لان المناوأة الدائمة بين القبيلتين تقتضي التضامن والاتحاد حتى يتمكن الواحدة من مصادمة الاخرى والتخلص من غوائل شرها وبالعكس فانه اذا كانت القبيلة عائشة بسلام وطأ نية وليس لها اعداء فان الفرد في هذه الحالة يكون مستقلاً بنفسه اكثر منه في الحالة السابقة ولا يكره الافراد على الاستسلام لمشيئة زعمائهم الا في حوادث نادرة

والحالة التي يجب ان ينظر اليها في مستقبل الشؤ الاجتماعي هي خضوع الفرد للغير واستقلاله عنه او معرفة الحد الذي يقف عنده خضوعه للغير وبتدئ استقلاله بنفسه وعند ما نتوخى الكلام على مستقبل الاجتماع البشري يجب اول كل شيء ان نعرف هل الدلائل الحاضرة تدل على ان استقلال الفرد بنفسه سوف يزيد او انه سوف ينقص فاذا امتدت صولة القوة الحاكمة المسيطرة على الفرد يضعف استقلاله ويصبح في قبضة الغير سواء كان هذا الغير ملكاً واحداً او حكومة مؤلفة من بضعة اشخاص او جمهورية مؤلفة من رئيس وبعض الاعيان او غير ذلك

خذ مثال ذلك المانيا فقد شرعت هذه الدولة في تنظيم قوتها الجندية منذ نشأتها ولا تزال في ازدياد فهي تضرب الضرائب الفاحشة على رعاياها حتى تقدر ان تقوم بنفقات الاسلحة وتعنى بترية ابنائها على حب القتال وتعظم هيبة حكومتها يوماً فيوماً وبذلك يتداعى استقلال الفرد ويتوسع بطش القوة الحاكمة والذي يجري في المانيا يجري تقريباً في كل بلد من البلدان

واغرب من كل ذلك هو ان الحكومات الجمهورية التي يذهب الناس الى انها محكومة

من الشعب فيها من الاستبداد وحسب الاثره ما لا يعثر عليه في الحكومات الملكية المطلقة ومن الغلط ان نقول ان البلد الدستوري يحكم نفسه بنفسه او ان الافراد يشتركون في ادارة امورهم وتسيير شؤهم في حين نرى ان رئيس الامة في امير كاله صولة اكثر من ملك انكلترا والصحيح ان احنكار السيطرة موجود في كل دولة فقد يكون ذلك في شخص واحد او يكون في بضعة اشخاص وكل ذلك يدل على ان استقلال الانسان بنفسه سوف يضعف في المستقبل فيصبح في حالة يكون فيها تحت سلطة القوة العمومية لا يقدر ان يفعل الا ما يساق اليه ويكون مكرهاً على التفادي مما ينهى عنه . وقد قال الشارعون في هذا العصر « ان الهيئة الاجتماعية ترتقي ارتقاءً عظيمًا اذا اصبحَت القيادة في ايادي القليلين العاقلين فهو لاء يقرون على اجراء النافع للسواد الاعظم وهو لاء يخضعون لقرارات اولئك ويستسلمون الى مشيئتهم لانهم اعلم بحاجتهم وادري بمطالبهم »

ومن المؤكد ان القوة العمومية تبذل كل وسعها في سبيل اضعاف الفرد فمن الوسائل التي نتخذها الان لاضعاف نظام العسكرية القهري فلننا تحتّم على كل فرد ان ينتظم في سلك العسكرية وهذا من شأنه ان يقلل من حرية الفرد واستقلاله بنفسه وفي الامة الحرية يكون الخضوع الاعمي عامًا بين جميع المقاتلة او العساكر فان كل فرد من الهيئة مضطر ان يخضع لمن هو اعلى منه رتبة والامة كلها تخضع للجيش لانها مجبورة ان تقدم له ما يحتاج اليه حتى يذود عن حوزتها ويدراً عنها مطامع الام الحربية والدول القوية . والخضوع واجب بين جميع افراد الحكومة الملكية لان كل موظف يخضع لمن هو اعلى منه

والخضوع صفة لازمة لازمة بين افراد الامة كلهم . واذا تقلص ظل الحرب فينشأ في الفرد ميل عظيم الى حب الاستقلال واستخدام مواهبه وقواه في سبيل منفعة الخاصة ويجعل دأبه مقاومة النظام العسكري القهري

وعلى الجملة فانه كلما عظمت حرية الفرد ضعف ذلك النظام واصبح المرء ملك نفسه ومتولي امره . وما اعظم الفرق بين الحالتين ففي الحالة الاولى تكون الطاعة العمياء والاخلاص للقوة العمومية من اعظم الفضائل والعصيان نقيصة لا تغتفر في التاريخ لا يزال كلما ذكر نلسون يثنى عليه ويطريه لانه اهلك نفسه في خدمة القوة العمومية او انه اطاعها طاعة مثناهية . ويندد بالرجال الذين خانوا دولتهم وفضحوا امرها او كشفوا اسرارها . وكثيراً ما كان الملوك يعذبون القائد الخائن في القرون الاولى اشد العذاب فقد قيل ان قورش الفارسي كان يأتي بالخائن ويثقب جسمه ثقباً متعددة ثم يذيب الرصاص ويسكه في تلك الثقوب وبعد ذلك

يربط اطرافه الاربعة الى افراس لا تزال تتجاذبه حتى نقطع اوصاله . ومعاقبة الخائنين لا تزال شديدة حتى في هذا العصر على أنه اذا ارتقت الهيئة الاجتماعية يبتدى الفرد يدرك معنى الاستقلال الحقيقي ويصير يحسب الخضوع المطلق لارادة الغير من اسوأ السيئات والتمسك بالحرية الشخصية والاستقلال من افضل الحسنات

ومن اعظم الادلة على تساؤل قوة الفرد ازاء القوة العمومية انتشار التعليم الاكراهي بين الامم الراقية فان الحكومة هي التي تسيطر على ابناء الامة وتربهم كيف شاءت واذا تجرأ الوالدون على مقاومة القوانين العمومية فانهم يعاقبون اشد العقاب ثم ان القوة العمومية تداخل في شؤون الافراد الخصوصية فتقول للفرد مثلاً انت لست حرّاً ان تنفق مواردك كلها كما تريد بل ينبغي لك ان تعطي شيئاً منها للحكومة لتتمكن به من نفعتك او نفع غيرك وان الفرد الذي يقال له هذا القول او يعامل هذه المعاملة ليس خليقاً ان يدعى حرّاً او مستقلاً . وكما عظم امر القوة العمومية واشتدت صولتها يتداعى استقلال الفرد وتوهن حريته الشخصية ومن المعلوم ان الحوادث الاجتماعية شأن غيرها من حوادث الكون يزداد تأثيرها ويشد فعلها اذا لم تلق مقاومة ومصادرة من الخارج فاذا لم يعترض القوة العمومية مناوي فلا ريب انها تكون في المستقبل قوة هائلة وتكون قوة الافراد ازاءها ضعيفة واهنة لا يؤبه لها . على انه لا يظهر من القرائن الحاضرة ان الافراد سوف يتعاونون ويتحدون لمقاومة القوة العمومية واذا كان ثمة اتحاد او تظاهر فهو ضعيف جداً ولن يؤثر في مصير الهيئة الاجتماعية واذا تأتى عنه بعض النتائج فلا تكون ذات شأن عظيم وكما كثرت المشروعات التي نثولي شؤونها الحكومة وانتقلت الاعمال من ايادي الافراد والشركات الى ايادي الهيئة الحاكمة ضعفت قوة الفرد امام قوة الحكومة وصار العمال والصناع وسائر الافراد في قبضة الحكومة لا يستطيعون ان يفعلوا شيئاً من تلقاء انفسهم وربما اصبحوا غير قادرين على تحصيل معاشهم الا اذا اندمجوا في سلك الاستخدام العمومي لان الاعمال الاستقلالية تكون عندئذ قد قضى عليها فتنشأ حكومة مستبدة بمقاييد الشؤون الاجتماعية تحجم على الفرد ان يفعل فقط ما يؤمر به ويتجافى عما لا يراد على عمله

واذا وصلت الهيئة الاجتماعية الى هذه الحالة واصبحت القوة الحاكمة نتصرف بامور الفرد كيف تشاء فقد فقد الفرد حريته التي يتمتع بها الآن بعض التمتع وقضي على كل الاعمال الحرة التي يديرها الفرد في هذا الزمان وما ذلك الا لان الانسان غير حقيق بهذه الحرية التي يستولي عليها ولانه غير قادر على المحافظة عليها بالطرق اللازمة

وقد قلنا ان الحرب قائمة على الدوام بين القوة العمومية وبين الفرد فالاولى تنزع الى احتكار جميع الاعمال العمومية واذا لم يتحد الافراد معاً ويقفوا في وجهها لكي يدافعوا عن استقلالهم في اعمالهم فمن المرجح فوزها في المنتهى والحال الحاضرة تدل على ان المنافسة والاحتقاد سائدة على الافراد فكل واحد منهم يعمل لما يظن منه خيراً له ولا يهتم خيراً للغير والشركات ايضاً تنافس وتباغض بعضها بعضاً وكل واحدة منهن تنصب الاحايل لابقاع الاخرى بها على انهن يغفلن عن ان هذه المناوأة تضعف شأنهن وتوقعن عن مصادر القوة العمومية التي سوف تكون الخطر الاكبر على استقلال الفرد في المستقبل . وفوق ذلك فان الشركة التي تضع نصب عينها مقاومة الشركات الاخرى قل ان تنجح او تبلغ مأربها واذا كانت هذه حالة الافراد من الاضغان والمقاومات فلا يخلق لهم حرية في اعمالهم واحر بهم ان يصبحوا تحت امرة حكومة مستبدة تسترقهم وتستعبدهم وتنشئ لهم نظاماً يعملون بموجبه فاذا ظهر ضعفه تنشئ نظاماً آخر بشرط ان تبقى لها السيطرة المطلقة على اعمال الافراد

وربما زعم البعض ان هذا القول مبالغ فيه لانه يرى ان معظم الام سائر الى الحرية وخصوصاً في هذه الاوقات وان استبداد الحكومات يقل رويداً رويداً على ان من اعلم فكرته يرى ان الامة اذا حصلت على حرية القول والفعل فتنتهي بذلك الى حد معلوم ثم يطرأ عليها رد فعل فبدأ ترجع القهقري وهذا الانفعال اورد الفعل لا بدء منه في كل حال وقد بلغت حرية الفرد مبلغاً عظيماً في القرن المنصرم وخصوصاً في انكلترا فاطلقت لكل فرد من افراد الامة واصبح الرجل يقدر ان يفعل مهما شاء على انها لما افضت الى درجة معينة ابتدأت نقطة الانقلاب وجعلت الحرية نقل فنشأت شرائع جديدة قصد منها الرجوع الى الاصل او اعادة هيبة الحكومة الى ما كانت عليه في دور الاستبداد

قال الاستاذ هكسلي في هذا الصدد « اذا تغلبت القوة العمومية على الافراد واستحوذت على جميع اعمالهم فانه يحدث واحد من امرين فاما يقوم الافراد قومة واحدة في وجه الحكومة وتكون ثورتهم هذه ثورة اجتماعية صرفة يتوخون منها ارجاع حقوقهم المفقودة وحررتهم السلوبة فيسقطون الدولة الحاكمة ويحصل عقيب ذلك رد فعل يفضي الى تسلط القوة العسكرية فتتولى شؤون الامة وتحكم في امرها بالاستبداد المتناهي واما يثور الافراد وينجحون في ثورتهم ولا تنجح الا الامة التي ما زال ينبض في عروقها دم الانفة وعزة النفس وينشئون حكومة دستورية بكل ما في الكلمة من المعنى اي انها تكون في يد الشعب وتضع قبلة ابصارها منفعلة الافراد وهذا اعظم مستقبل يرجى للام الحية في زمن بعيد جداً

ثم ان البشر ينشدون الكمال في جميع ادوار العمران وكلما نشأت هيئة اجتماعية مغايرة للارتقاء الحقيقي فيقوم صنف من الناس يجعلون دأبهم مقاومة تلك الهيئة على قدر الطاقة ولم يخلُ الاجتماع البشري من امثال هؤلاء الاصناف في جميع ادوار ولا بدءاً من ظهور هذه الفئة في المستقبل كما ظهرت في الماضي فتتعهد اصلاح الفساد الذي سوف يطرأ على العمران والمرجح انها تنجح على تمادي الزمان في ايجاد هيئة اجتماعية موافقة للرقي كل الموافقة وعندئذ ينظر كثيراً في ارجاع حرية الافراد واستقلالهم واذا كان ناموس النشوء قد فعل في الادوار المنصرمة واوصل الحياة الى حالتها الحاضرة وساعد الاحياء على مصادرة الطوارئ الطبيعية التي كثيراً ما طرأت عليهم فهو سوف يفعل ايضاً في المستقبل ويهتدي به البشر الى تكيف طبائعهم واعمالهم طبقاً لما تقتضيه منهم احوال الهيئة الاجتماعية المنتظرة فيجمعون كلمتهم ويلون شعبيهم حتى يتمكنوا من الدفاع عن حقوقهم والذب عن حياضهم

وهنا لا بد من ايراد كلمة عن النشوء وما يراد منه من الوجهة الطبيعية . ان النشوء لا يعني الترقى بل هو ظهور احد الاحياء بصورة قوية اصلح من غيرها لمقاومة العوامل الطبيعية فيكون هذا الحي اقدر من سائر الاحياء على الحياة ويترقى بانخطاطها وامتصاصها وكما قوي تضعف ولا تلبث طويلاً حتى تنقرض طبقاً لناموس « بقاء الاصلح » ثم ان النشوء الحيوي ينطبق على النشوء الاجتماعي فكما نشأ شعب من الشعوب وعظم امره فلا بد من تدني شعب آخر . والجماعة التي تترقى تضعف غيرها فيأتي افراد الجماعة المترقية ويستقررون في اقليم مناسب لصحتهم ويطرودون اهل ذلك الاقليم الى اقليم سيئ فتضعف بنية هؤلاء وينشأ منهم جماعات ضعيفة سقيمة . فضلاً عن ذلك فانه تحدث منافسات كثيرة بين الامم القوية وهذه المنافسات تقضي الى تفوق بعضها على بعض وانخطاط عدد منها فالتفوقة تنحصر في البقاع الخصبة الطيبة والمنحطة تنهم الى الاصقاع الباردة القاحلة وتبتدى الشعوب المتفوقة بالتآلف والتضامن فلا يمضي زمن حتى ترى الامم الراقية متجمعة وهذا التجمع او الائتلاف ينفع العمران كثيراً

والمرجح انه سوف تتألف بين الامم العليا محالفة عامة تؤلف بينهم . ويكون من انفع افعالها انها تقضي على الحرب التي تحسب اعظم مضره للتمدن الحاضر وقد التفت الدول الى ذلك في هذا العصر فعقدت المؤتمرات الدولية وقصدت ان تحسم بها كل خلاف او نزاع يقوم بينهم . على ان الزمن الذي تنقضي فيه الحروب لم يحن بعد ولا شك ان الحروب من اعظم المعار التي نصيب الحضارة العصرية وهي تهيج في النفوس طبائع الهمجية وترجع البشر الى حالتهم الوحشية الاولى

ثم انه اذا تشكلت هذه المحالفة العمومية بين الام ترفت الهيئة الاجتماعية ترقياً محسوساً وقطعت خطوات واسعة في سبيل التقدم الحقيقي وحصل التلاؤم بين نظام المجتمع وبين احوال الافراد او بين مطالب الفرد لخصوصية وحاجاته وبين المحيط ولا تعود قوانين الاجتماع تغاير منافع الاشخاص . واذا قصد الفرد ان يحيا حياة سعيدة في الوقت الحاضر وجب عليه ان يكيف مطالبه واحواله طبقاً لنظام الهيئة الاجتماعية الحالية على ان ما فيها من الاختلافات وتشتب الاغراض والغايات والمنافسات الكثيرة يمنعه من الملائمة بين نظامها وبين مطالبه الخاصة غير انه اذا شاءت تلك المحالفة فلا تبقى تلك العوائق ويصبح الفرد في حالة يرتاح فيها الى انظمة المجتمع ويسهل عليه الانقياد لها والعيشة طبقاً لمطالبها لانها لا تتقاضاه الا ما يسهل عليه اجراؤه ولا يندخل في حريمه الشخصية الا اذا حدثته نفسه بالاقراء على الغير والائتلاف المومأ اليه يعلم الفرد انه عضو من اعضاء المجتمع الانساني وينبغي له ان يتعاون مع سائر الاعضاء حتى ثم سعادة الجميع . واذا ادرك الافراد هذا الادراك ماتت من قلوبهم الفرائز الوحشية التي تحدد بالمرء الى الاعنداء على غيره وترقت العواطف السامية التي تبعث الانسان على خدمة المصلحة العامة وزالت ايضاً جميع العقبات التي يضعها الآن ذوو المآرب الذاتية في سبيل سعادة الافراد فيبرز عندئذ الرجل الحقيقي الى ميدان الحياة وهو الذي يخدم اوطاره ويخدم ايضاً اوطار الهيئة الاجتماعية ولا يجد تناقضاً بين المنفعة الخاصة وبين المنفعة العامة لانه يخدمه غيره ويخدم نفسه ويخدم غيره . ونرى ما يشبه ذلك في اعضاء الجسم الانساني . ومن الناس من تنحوا عن سائر البشر والقوا عن كواهلهم اعباء المطالب الاجتماعية الحاضرة فانثقت اخلاقهم ارتقاءً ميبناً وعاشوا عيشة كاملة على حد ما تقدم وهذا نفس ما يرجى حدوثه في المستقبل عند ما يحصل تألف الام الذي اشرنا اليه فتسعى عندئذ في انشاء المجالس التحكيمية التي بدى بملها في الوقت الحاضر وتعد قيادتها لاصحاب الاخلاق العالية الذين يعرفون بالنزاهة والصدق وتكون تلك الدريعة من اعظم الدرائع الموصلة الى السعادة الغالية المنشودة

دمشق

خليل يعقوب الخوري

حمى البول الاسود

BLACKWATER FEVER.

قل من بحث من اطباء الشرق في هذا المرض الخبيث مع كثرة انتشاره في كثير من البلاد الحارة وبالاخص في اواسط افريقية فانه منتشر في بعض بلدان السودان مثل لبحر الغزال والرصيرص وقد شاهدت المصابين به هناك واصبت به ونجوت منه فرأيت ان اوافي قراء المقتطف بما يأتي كطبيب ومجرب

ثبت بعد البحث والتحقيق انه ليس لهذا المرض مكروب مخصص به ولا هو مرض قائم بنفسه مثل الكوليرا والحمى التيفوئيدية بل هو نوع من انواع الحمى الملارية الخبيثة وما يسبب هذه يسبب ذلك اي ان مكروب الملارية كاف لان يسبب الحمى السوداء او حمى البول الاسود فان كل من سكن في بلاد موبوءة بالحمى الملارية وبقي فيها مدة تزيد عن السنة وأصيب في خلالها بالملاريا مراراً عديدة اصبح معرضاً للاصابة بالحمى السوداء في بحر الغزال قل ان أصيب بها القادمون اليه حديثاً بل ان اكثر من أصيب بها كان قد اقام مدة لا تنقص عن السنة وكان قد أصيب مراراً كثيرة بالحمى الملارية

واول من ذكر هذه الحمى وبحث في اسبابها واعراضها الاطباء الافرنسيون المقيمون في مقاطعة نوسبي Nossibé الواقعة على شاطئ مدغسكر الشمالي الشرقي ثم ظهر بعد ذلك انها منتشرة ايضاً في اواسط افريقية مثل اوغندا ومستعمرة الكنفو الحرة ومستعمرة الكنفو الافرنسية وفي مديرتي بحر الغزال وسنار من اعمال السودان كما مر ثم اتضح انها تعم اكثر البلدان الحارة مثل اميركا الجنوبية والهند الغربية وجنوبي الصين وأسام وتوجد في بعض مقاطعات الهند الانكليزية وفي غيرها ايضاً من البلدان الحارة وقد شوهد بعض الاصابات بها في بلاد اليونان وبلاد ايطاليا وسردينيا وفي فلسطين وقد عالجت مريضاً مصاباً بها في العريش كان قادماً من يافا

والاصابة بهذا المرض كالاصابة بالحمى الملارية من حيث انه يعاود من أصيب به فقد ذكر الدكتور مانسون خمس حوادث شاهدها في بريطانيا العظمى في اناس سكنوا المناطق الحارة وأصيبوا بالملاريا ومنهم من كان قد اصيب بالحمى السوداء قبل عودته الى وطنه ثم اصيب بها ثانية ومنهم من بقي ثلاثة اشهر فقط في اواسط افريقية ثم أصيب بها بعد رجوعه الى وطنه

واعرف ضابطاً انكليزياً كان قد اصيب بها وهو في شرقي افريقية ثم عاودته وقضت عليه بعد وصوله الى الرصيرص بزمين ليس بطويل وآخر كان قد اصيب بالمalaria وهو في جنوبي السودان ثم عاد الى بلاده استشفاءً منها فاصابته الحمى السوداء في مرسيليا وهو على طريقه وقضت عليه هناك. ويندر ان يصاب بها اناس ممن اتوا البلاد الموبوءة بالمalaria في اول سنة من اقامتهم فيها. وقد ظهر من التقارير التي وضعتها حكومة الكونغو الحرة عن هذه الحمى ان اكثر الاصابات حصلت في السنة الثالثة من اقامة موظفيها في تلك البلاد غير انه قد شوهد قليل من الحوادث في من اقام ثلاثة اشهر فقط في تلك الاصقاع. ويظهر ان هذه الحمى تصيب غالباً من انهكته الحمى الملاريا وتشتع جسمه من مكروبيها. ومعظم من يصاب بها البيض واما الزوج اهالي تلك البلاد فيندر ان يصابوا بها مع انهم معرضون للحمى الملاريا ويصابون بها كثيراً. وقد ذكر ايلسمون وآيس وغيرهما من الاطباء الذين خصصوا اوقاتهم لدرس هذه العلة بعض اصابات في الزوج ومات بها كثير من العمال الصينيين المشتغلين في سكة حديد الكونغو

الاسباب. ليس لهذا المرض مكروب خاص كما تقدم بل هو نوع من الحمى الملاريا الخبيثة فيصح القول بان مكروب الملاريا (البلازموديم ملاريا) هو المسبب له

الاعراض. قلما تختلف اعراض الحادثة الواحدة عن الاعراض الاخرى بل ان معظم الحوادث متشابهة ولو تفاوتت في الشدة والنتيجة. وقد لا يشعر الواحد بمجيئها اذ ليس لها علامات سابقة مميزة بل قد تفاجئه على حين غفلة وهو يحسب انه سيصاب بدور اعنيادي.

واول ما يشعر به المريض قشعريرة شديدة قد تدوم ساعة من الزمن ثم تعقبها حرارة ترتفع الى ١٠٥ او ١٠٦ مميزات فهرنهايت ويصاب المريض باوجاع شديدة في الظهر والكبد والمثانة ويشعر بميل غريب وارتياح شديد الى افراز البول وما اشد خوفه ودهشته اذ يرى ان بوله صار ذا لون اسود قاتم ويصاب بقيء اصفر شديد وباسهال مفرط ثم يصفر بياض عينيه وبشرته اصفراراً شديداً وبعد بضع ساعات من ارتفاع الحرارة تهبط الى الدرجة الطبيعية ويتغير لون البول من اسود قاتم الى احمر فاتح وربما عاد الى لونه الطبيعي وفي اليوم الثاني تعود الحمى وجميع الاعراض بشدتها الاولى وربما كانت اشد من الاول ويبقى العليل بين هبوط وارتفاع في الحرارة الى ان تنهك قواه ويضعف كثيراً وفي الاحوال الخفيفة ينقطع افراز الدم من البول في اليوم الثالث وتهبط الحرارة وينقطع القيء ويدخل العليل في دور النقاهة الى ان يشفى تماماً وهو النادر واما في الحوادث الثقيلة فتبقى الحرارة مرتفعة ويستمر البول على اللون الاسود وتشتد الاعراض فيفقد العليل صوابه الى ان يقضي نحبه في نحو

اليوم الرابع من ظهور الاعراض المذكورة . وجميع الحوادث الثقيلة التي لا تقف الاعراض فيها في اليوم الثالث تنتهي على الغالب بالموت للاسباب الآتية

(١) اما ان تبقى الحمى مرتفعة جداً فيصاب المريض بالتهابات دماغية واحتقان في شرايين المخ

(٢) قد يبقى النزف الدموي فيموت المريض بالاغماء كما لو اصابه نزف دموي

(٣) قد يصاب المريض بالتهاب كلوي حاد فيشتم دمه

وفد ذكر الدكتور مانسون حادثة قضى فيها العليل فجأة بعد ثلاثة اسابيع من تاريخ هبوط الحمى وزوال الاعراض من التهاب بالكبد وقيء دموي وشهقة مستمرة

حالة البول . اذا فحص البول وجد حامضاً (أي غير قلوي) واذا ترك في وعاء راسب منه راسب ذو لون قاتم تعلوه طبقة سائل خمري اللون واذا فحص الراسب بالمكروسكوب وجد فيه كثير من قشور الهياطين والهيموغلوبين غير ان وجود كريات الدم في البول نادر جداً وهذا ما يفرق الحمى السوداء عن النزف البولي

ومن الغريب ان اكثر الذين اصابوا بالحمى السوداء وسلموا منها يشفون من حمى الملاريا ايضاً فكان الدم الذي افرز حمل معه ميكروبات الملاريا فتق الجسم منها

المعالجة . في اول اكتشاف هذا المرض كان اكثر اطباء يعالجونه باملاح الكينا بمقادير كبيرة لغاية ١٢٠ قحمة في اليوم اعتقاداً منهم ان الكينا الدواء الوحيد الفعال ضد الملاريا ثم اتضح من التجارب العديدة التي اجراها كوخ وبلنس ان الكينا تزيد شدة الاعراض وقد زاد على ذلك ان كثرة استعمال الكينا تعرض الجسم للحمى السوداء وذلك لان الكينا تجعل الهيموغلوبين غير ثابت في كريات الدم الحمراء فيسهل خروجه منها ومن المعلوم ان الدم الموجود في بول المصابين بالحمى السوداء هو الهيموغلوبين وليس الكريات الحمراء فكان الكينا تساعد الداء عوضاً ان تكون هي الدواء . وعليه فاول ما يجب عمله في معالجة هذا المرض هو ابطال الكينا حالاً وعدم استعمالها في مدته

الكالومل . قد جرب الكالومل بجرع كبيرة من ٢٠ — ٣٠ قحمة فأتى ببعض الفائدة ولكنه قد سبب التهابات في المعدة

الحامض التنيك . يعطى منه ١٥ قحمة مخففاً بماء كثير كل ساعتين جرعة على اربع مرات وتعاد الجرعة في اليوم الثالث والسادس

سليسلات الصودا . قد جربت كثيراً في افريقية فأتت بفوائد حسنة . وافضل علاج

هذا الداء الذي استعمل كثيراً فجاء بفوائد أكيدة هو

بي كربونات الصودا	نصف جرام	{ جرعة كل ثلاث ساعات
سابل سليمافي	١٠ جرام	
ماء كلورفوم	٣٠ جرام	

ولا يستصوب اعطاء العليل منبهات مثل الكنيك لأنه يضر به كثيراً في الكليتين واما الغذاء فيكون الحليب مضافاً اليه قليل من ماء الصودا ويجوز استعمال الشاي ايضاً الوقاية . ننصح لجميع الذين يذهبون الى البلاد الموبوءة بالحمى المalarie ان يأخذوا احد املاح الكينا مثل كبريتات الكينا عشر قمحات في صباح ومساء اليوم الاول والخامس عشر من كل شهر وهذه الطريقة تفضل كثيراً على اخذ هذا الدواء بجرع صغيرة في كل يوم باستمرار وعند ظهور اول دلائل الحمى السوداء يجب ابطال اخذ الكينا حالاً وان يشرب المريض ماء الشعير فاتراً وان لا يتناول غذاءً مخففاً بالصودا وان يجنب التعرض للهواء الرطب ويحسن وضع اللبغ الحارة فوق المثانة والكبد وفي أي حال من الاحوال لا يجوز استعمال مخفضات الحرارة مثل الانتبرين والفناستين والانتيفرين لان استعمالها لا يخلو من الضرر العظيم الدكتور نسيب تبشرافي

اللغة العربية والتعريب

فرغ الناس من مدح اللغة العربية فلا حاجة بي الى وصفها بما هو دون قدرها . وانما اريد ان اجمل في هذه السطور بعض ما ينبغي الانتباه اليه من حاجتها الى مزيد العناية . ولا يتم ذلك باجتهاد رجل او رجلين بل بانقطاع جماعة من علمائها الى الاشتغال بها . فليس يكفي اللغة ان يتهافت الناس على تأليف كتب النحو والصرف وفنون البلاغة وهي كثيرة مأخوذة بعضها من بعض وقصارى المهمة الآن ان يشترك اولئك الفضلاء في وضع قاموس يكون كثير الكلمات قليل الشرح كافي البيان مع زيادة ما ينقصها من المفردات التي ليست موجودة فيها مع شدة الحاجة الى استعمالها . ويمكن ان يكون ذلك اما بقبول الكلمات الاجنبية الدالة عليها واما باستعراب كلمات من الفارسية تفيد مفادها . وكما كانت اللغات الاوربية تستعير من اللغة اللاتينية واليونانية كانت اللغة العربية ايضاً تستعير من اللغة الفارسية . فهي للعربية اقرب وبها امثل

فان اللغة العربية في حاضرها ليست بكافية لحاجات المتكلمين بها . وامراء الكلام من شعراء وكتاب يعانون الصعب في تأليف كلامهم . يتبين ذلك في كثيرهم وقصائدهم من صرف فيها بعض التأمل . وما هذا بذنب اللغة ولا ذنب الكاتبين بها وانما يؤخذ بجريته من اهملوا امرها ولم يصلحوا شأنها من ائمة اللغة . واذكر ان صاحب السباحة السيد توفيق البكري كان الف مجمعا لغويا من نحو خمسين عالما وكان ذلك في سنة ١٨٩١ على ما اظن . فوضع هذا المجمع بعض كلمات لم تتجاوز العشرين مثل (البطاقة) لورقة الزيارة و (المدرة) للحامي . فانتقد ما اخذته بعض الناس ولم يسمع بعد ذا شي عن هذا المجمع

اجل يمكن للشعراء والكتاب ان يضعوا كلمات الاشياء التي لا تعريب لها ولكن هذا يفتح للناس باب التصرف باللغة فيذهب كل فيها مذهبا ومتى عم الاجتهاد لم يؤمن الخطأ . وهل يرضى كل الناس بكلمة رضىها احدهم كلاً بل يظل مكان النقص كما كان

رأيت قصصا ترجمها الى العربية صديقي المرحوم الشيخ نجيب الحداد . فاذا هي لا تشبه شيئا ولا يصح ان يقال في مثلها ما يقال في كتب البلغاء . وما كان ذلك عجزا من الاديب المرحوم ولا جهلا . ومثله لا يتهم في ادبه ولا يطعن على فضله . ولو قيل لي في ترجمة واحدة من تلك القصص لجاء ما اكتبه دون ما جرى به قلم صديقي النجيب . وما ذاك الا لوقوف اللغة العربية عند ما كانت عليه من منذ الف وخمسمائة عام . وانما وضع اللغات واضعوها لتكفي بحاجاتهم . وحاجات السلف لم تتعد ما ابتدئ من الاشياء . ولو كانت هذه البواخر واسلاك البرق والتليفونات وغيرها موجودة في ايامهم لوضعوا لها كلمات تدل عليها

ورجال القلم في هذا الزمان على مذهبين احدهما تقليد القدماء في كلامهم واخذ الجمل منهم كما قالوا . ومثلهم كثير ممن نسمع منهم ما يقولون مثل : سارت بذكرة الركبان وعقدت عليه الخناصر وشب عن الطوق وما اشبه ذلك . والمذهب الثاني جعل الكتابة العربية مثل الكتابة الافرنكية وهذا رأي شديد لولا ما يعيبه من الافراط . واذا كان رجال المذهب الاول مخطئين في الاستمرار على ما تقدم عهده رجال المذهب الثاني مخطئون في تركيب الكلام وصوغه — ثم الفريق الاول يحول دون ترقى اللغة ويشوه محاسنها بانتقاء ما سمع من كلماتها مبالغة منه في التشبه باهل البدو من الجاهلية وغيرها . والفريق الثاني انفق على الفاظ يركب منها كلامه وكما رأى كلمة لا يعرفها قال هذه لغوية (يريد عويصة) وقال ينبغي ان تكون كتاباتنا كلها عصرية . والحق ضائع بين رجال المذهبين

القشرة الرقيقة التي تحيط ببيض البيض مما يلي قشرها الخارجي يقال لها غرقى؛ والفرنساويون يقولون (Zeste) . فإذا دعت الحاجة الى ذكر الفرقاء عابها الناس ولكن ما الحيلة وليس هالك لفظ آخر يدل دلالة . واستعمال هذه الالفاظ ليس كاستعمال ما لا ضرورة اليه مثل الحيزبون والدرديس والعطيس كما ذكره الصفي الحلي في اياته المعروفة

اشعر الشعراء واكتب الكتاب في هذا الزمان عاجز عن وصف غرفة نوم او ثياب رجل . فاذا هو رضي بالسرير والغطاء والكريمي والمرآة فما يقول في غيرها . افلا يوجد شيء آخر في غرف النوم ؟ ما هي (الجاكته) وما هو (البنطلون) وهل ثم شاعر تطاوعه نفسه الى ذكرها كذلك في شعره ؟ ما ظننت ذلك قط . وهل في الناس صاحب يجرأ على ان يقول « فلانة تخال في فستانها الازرق وبرنيطتها او قبعتها السوداء الى جانبها صديقتها فلانة لابسة ثوباً تايوراً » ؟ كلا ثم كلا . هذا اشبه شيء بهذيان المحموم

الفرنساويون وضعوا كلمات لاجزاء النافذة مثل Dormant, Traverse de haut, Petit bois, Crémone, Battant Meneau, Battant de noix,

كما يجده القارئ في قاموس لاروس . فما يقال لهذه الاشياء باللغة العربية وهل يمكن الاستغناء عنها واهمالها والغدر باللغة العربية ام اخذ هذه الكلمات كما هي

ان لغة (الاسبرانتو) ولم يمض على وضعها ربع قرن يتكلم بها الآن خمسمائة الف انسان . وطبع بها الف كتاب وينشر بها اليوم نحو الثمانين من جريدة ومجلة وغيرهما . واللغة العربية وهي سيدة اللغات تكاد تدرس حتى في اوطانها . والذي نفع تلك هو سهولة تعلمها والذي اضر بهذه هو صعوبة تعلمها . واللغة العربية لغتان متباينتان احدهما يتكلم بها العامة والاخرى تكتب بها الكتب . وتوحيدهما من اصعب الامور . على ان الصعب يسمى ذلولاً وينقاد الى المراس اذا عولج بالصبر والثبات . ولو تفضل اساتذتنا اصحاب المقتطف بوضع كلمات مما تحتاجها اللغة وادخلوها بعد ذلك في قاموس لكانا لم من الشاكرين . ولقد سررت بالكلمات التي استخرجها حضرة الفاضل الدكتور معلوف من اسماء الطيور فاذا هذا غيره حذوه في استخراج مثلها في الملابس والاثاث وما كان من هذا القبيل وألف بعد ذا قاموس يحوي هذه المستخرجات كانت الفائدة عظيمة

ولي الدين يكن

تصديق الغرائب

ألف أحد الاساتذة الاميركيين كتاباً في موضوع علي شرقي وبعث به الينا لنتنقده له
 فرأيناهُ يذكر في اوائله ان الشرقيين اميل من غيرهم الى تصديق الغرائب عن غير ان يبحثوا
 عن عللها ومن غير ان يعرضوها على ميزان العقل والنقد فكثبنا اليه نقول اننا اذا قابلنا بين
 معارفنا من الشرقيين والغربيين الذين تساوت وسائلهم العلمية لم نجد الشرقيين اميل الى
 تصديق الغرائب من الغربيين وذكرنا له امثلة المرسلين الذين يصدقون كل ما يروى لم ولو
 ناقضه العقل او الاخبار وامثلة العلماء الذين يصدقون بمناجاة الارواح وانتقال الافكار ودلالة
 اسرار الكف وما شاكل مما لم يقد دليل على صحته . فاجابنا جواباً مسهباً ومما قاله فيه ان
 الحوادث التي تنسب الى مناجاة الارواح وفعالها قد بحثت فيها جمعية المباحث النفيسة بحثاً
 علمياً مدققاً واحاطت لكل ما يمكن وقوعه من الغش فثبتت لها صحة كثير منها مثل افعال اساييا
 بلادينو وهي لا تعال الا بفرض من فرضين اما وجود الارواح ونعلها واما تأثير العقل في
 المادة وفعله بها فعلاً مادياً

نقول وليس العبرة بالتعليل بل بصدق الحادثة التي يراد تعليلها وهو مثل قول احد ملوك
 الانكليز للجمعية العلمية الملكية لماذا اذا وضعنا اناء فيه ماء في ميزان وكان وزنه مائتين كذا
 ارطالاً ثم وضعنا سمكة في الماء ولم يرق منه شيء بقي وزنه على حاله اي ان السمكة لا تزيد
 وزنه . فان هذه الحادثة اذا صحت لم يمكن تعليلها بنواميس المادة المعروفة ولكنها غير صحيحة
 واذا كان وزن السمكة رطلاً فوزن الاناء والماء يزيد رطلاً تماماً بوضع السمكة فيه . وما ينسب
 الى اساييا بلادينو يحتمل ان يكون غير صحيح وان يكون العلماء الذين قالوا بصحته مغشوشين
 اي مصابين بما يسمى بالاستهواء الذاتي ويحتمل ان تكون طرق الخداع خفية فلم يستطيعوا
 اكتشافها لانه قلما يوجد منهم او من غيرهم من يستطيع ان يكشف كل حيل المشعوذين
 كنا قبيل كتابة هذه السطور نتكلم في موضوعها مع احد آحاد العلماء فقال قولوا ما
 شئتم في حيل المشعوذين اما افعال المنومين فلا يمكن تعليلها بناموس طبيعي ولا ردها الى الحيل
 وانا لا استطيع ان اكذب مشاعري فقد رأيت بعيني المنوم يتوّم امرأة ويضعها على كرسيين
 رأسها على كرسي ورجليها على كرسي آخر ثم ينتزع الكرسيين من تحتها وبقيها معلقة في الهواء
 فضحكنا وقلنا له هذه حيلة عملها وقد نشرنا تفصيلها في المقتطف غير مرة فلم يصدق
 انه يمكن ان توجد حيلة تجعل جسم المرأة يقف في الهواء فقلنا ليس الامر كذلك بل ان

المشعوذ اخرج من الحائط الذي وراء الكرسين قضيباً افقياً من الحديد له عارضة من الحديد ايضاً ومدّه تحت ظهر المرأة فحملها عليه ورفع الكرسين من تحتها وهي لم تكن نائمة بل كانت متناومة . فوجد ان هذا التفسير معقولاً

وكان احد المشعوذين يطلب ان تربط ذراعاه معاً وراء ظهره ويجعل اثنين من الاقوياء يمسكان طرفي الحبل ثم يفك يديه من غير مساعدة احد ويعيدهما الى رباطهما كذلك وقد حار العلماء الاوربيون والاميريكيون في ذلك وحاولوا تعليله بفروض تشريحية كتمدد العضلات وقوة المخل وما اشبه مع انه محض حيلة ولا شأن للعلم فيه وقد قلنا ذلك مرة في جمهور من الاصدقاء فلم يصدقوا فطلب كاتب هذه السطور منهم ان يربطوا يديه معاً وراء ظهره فربطوها وشدوا الرباط جهدهم فاخرج يديه منه الواحدة بعد الاخرى ثم ردهما اليه واراهم الحيلة التي استخدمها لذلك فأروها من ابسط ما يكون

ثم ان العلماء الذين شاهدوا اعمال اساييا بلادينو ودافعوا عنها جهدهم مثل الاستاذ لمبروزو وقالوا انها تفعلها بقوة روحية هو لاء العلماء انفسهم يقولون انها تخرج اعمالها الصحيحة بالحيل والخزعبلات وفسروا ذلك بان رغبتها الشديدة في نجاح اعمالها تدفعها احياناً الى استعمال الحيلة اذا رأت ان الروح لم تلبيها كما تريد . ويظهر لنا ان العمل الذي يكتشفون الحيلة فيه يقولون انه حيلة والعمل الذي لا يستطيعون ان يكتشفوا ما فيه من التحيل يقولون انه صحيح لا خداع فيه

اذا وقف الكيماوي في نادي الخطابة او نادي التعليم يظهر غرائب الاعمال الكيماوية كحرق الماس في الاكسجين واشعال الفسفور تحت الماء لم يخرج لادهاش سامعيه وناظريه الى شيء من الحيل والشعوذة . واذا لجأ الى الحيل فذلك شبهة كبيرة على قصر معارفه الكيماوية وفساد دعاويه فيها وهذا شأن مناجي الارواح فانهم اذا كانوا يناجون الارواح حقيقة وكانت الارواح خاضعة لهم فما تعلمه وحده كافي لاثبات دعواهم فلماذا يلجأون الى الحيلة والخداع وما ادرانا ان ما لم نكشف خداعهم فيه ليس خداعاً مثل الذي كشفناه . وزد على ذلك فان الحق يعصم اصحابه عن الخداع ولا يعقل ان يكون انسان على حق ودليله فيه واضح مقنع وهو يلجأ الى الحيل والاخاديع

هذا ودعاوي المدعين مناجاة الارواح وحلول ارواح الموتى فيهم كثيرة عند الاوربيين والاميريكيين تنشرها مجلاتهم كما تنشر المكشفات العلمية . نشر الدكتور جيمس هسلب في مجلة جمعية المباحث النفسية الاميركية ان رجلاً اسمه المستر طمسن تعلم مبادئ فن

التصوير الاولى وفي اواخر سنة ١٩٠٥ بدت منه رغبة شديدة في الرسم والتصوير وجعل يقول ان جفورد يريد ان يصور . وجفورد هذا مصور النقي طمسن به عرضاً في الريف وكان طمسن يصطاد وجفورد يصور الاراضي . ثم النقي به ثانية في نيويورك وأراه بعض الحلى ولم يكن بينهم صداقة ولا معرفة تامة . ومات جفورد قبلما ظهرت هذه الرغبة في طمسن بستة اشهر ولم يكن يعرف شيئاً عن موته حتى ذهب يوماً الى بيت جفورد ليرى صورته فسمع صوتاً يناديه ويقول له اترى ماذا فعلت افلا تقدر ان تأخذ صورتي هذه ونتمها . ولم يكن طمسن من الذين يعتقدون بمناجاة الارواح فظن انه كان يحسد حدساً لكنه لم يمسك قلم التصوير بيده واتم الصورة ثم صور صوراً أخرى من الصور التي رسمها جفورد قبل موته ولم يتمها فظن انه اصيب بدخل في عقله ومضى الى الدكتور هسلب فرأى هذا ان مسأله تستحق البحث وجمعه مع وسيط فظهر له ان روح المصور جفورد كانت ترشده لتتم صورته هذا ما ذكرته مجلة جمعية المباحث النفسية التي يقول صديقنا انها تبحث في ما يعرض عليها بحثاً علمياً مدققاً وعندنا ان الريب في صدق طمسن هذا اقرب الى المعقول من دعواه لاسيما وان مهارة المصور في التصوير ليست متوقفة على روحه والا لصار كل مصور مصوراً في يوم او اسبوع ولكنها متوقفة على تمرن اعصابه وعضلات يده فلو اصبحت يمين المصور بافة لم تقم يسراه مقامها مع ان روحه تبقى على حالها

وكتب المستر اوسنن في مجلة العقل يعلم الناس كيف يتناجون عن بعد او يتناقلون الافكار فقال

- (١) انظر ملياً في الموضوع الذي تريد نقل الافكار فيه
- (٢) اختر واحداً من اقاربك او معارفك الذين تميل اليهم او واحداً من الذين يشغلون بذلك الموضوع او يهتمون به مثلك
- (٣) اختر الساعة الثانية صباحاً (اي بعد نصف الليل بساعتين) لانها خير الاوقات لما تريد ويكون الشخص الذي اخترته نائماً في الغالب والنوم يوقف الشعور ولكنه لا يمنع ما تريده
- (٤) تصور ان الشخص الذي اخترته قريب منك وخاطبه بما تريد فكراً كأنه واقف امامك فتنقل الافكار منك اليه ولا بأس بأن تذكر اسمه حينئذ كأنك تخاطبه وجهاً لوجه لكي يزيد انطباع افكارك في ذهنه
- (٥) اجتهد في نقل افكارك الى من تريد نقلها اليه وهو نائم او مصاب بغيبوبة لانه يكون اقبل حينئذ للتأثر بها منه لو كان مستيقظاً

- (٦) كرر ذلك مثني وثلاث ورباع
- (٧) كلّم من تريد نقل افكارك اليه بسلطة مَن يأمره امرأً لأنّ العقول يتسلط بعضها على بعض والعقل الذي يصل اليه التأثير يتطلب سلطة العقل الذي يؤثّر فيه
- (٨) اجمع كل قوى عقلك ونفسك في الافكار التي تحاول ارسالها وانت ترسلها ولا تفكر الاّ فيها كأنك تريد ان تنقل نفسك الى نفسه
- وقرأنا لغيره ارشادات اخرى في هذا الموضوع قال فيها ان نقل الافكار لا يكون بالكلام بل بالتصوّر فاذا اردت من شخص ان ينهض ويكتب لك كتاباً فلا تنقل له قلم و اكتب كتاباً لان نفسه لا تفهم كلمة قلم وكلمة اكتب بل تصوّر فعل النهوض من السرير وفعل مسك القلم والكتابة واسناد الفعلين اليه اي انقل الصور الذهنية الى عقله لا الكلمات الدالة عليها فان كانت هذه الامور صحيحة لم يبق شيء من خرافات الاقدمين الاّ وهو محتمل الصحة

السلطة للمال

كانت السلطة للقوة البدنية فاختصّ بها الاقوياء الذين يقهرون غيرهم في الحروب وتوارثها اعقابهم وقبائلهم فقام منهم الملوك بالانتخاب او بالارث . ولما كان عملهم الامارة وهي غير منتجة أي لا دخل لها لا من الارض ولا من عمل الغير نقضوا نفقاتهم من الغنائم او من ابتزاز الاموال من الاغنياء فكانوا يغزون غيرهم من القبائل لاغننام اموالهم ويصادرون الاغنياء من ابناء قبيلتهم وبيتزون ما عندهم فوق ما يضر بونه على عامة الشعب من الضرائب وجروا على ذلك الى عهد قريب . فقد بقي ابتزاز اموال الاغنياء شائعاً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا حتى كان اغنياءه يضطرون ان يخفوا اموالهم ويظهروا بالفقر اما الاطيان التي لا يمكن اخفاؤها فكانت تؤخذ منهم ثمن او بلا ثمن واذا ابوها فبالعدّة والكراباج كما هو معلوم . وما بقي جاريّاً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا كان جاريّاً في كل البلدان في المسكونة كلها ولا يزال جاريّاً في بعضها الى الآن

ولقد نهض الشعب من وقت الى آخر لاسترداد السلطة المغصوبة منه فكان يفلح تارة ويفشل اخرى وكان يتفق ان يتسلط عليه رجال أشربوا حب العدل فيعدلون فيه ولا يتقاضونه غير ما يكفي لاقامة العدل وحفظ سياج المملكة كما فعل بعض الملوك والخلفاء ولكن نعلم هذا كان مجرّد ارادتهم لا بحق خولته الشعب واحتفظ به . ودامت الحال على هذا

الذوال الى ان قويت سلطة الشعب وتمّ الاتفاق على اعادة السلطة له في أكثر الممالك الاوربية فتمتع الاغنياء بغنائهم ولم يعد اهل الامارة يستطيعون ان يتزوا الاموال منهم بل أُجبروا على الاكتفاء بما فرض لهم على الشعب اي بما فرضه لهم نواب الامة مما يلزم لنفقاتهم لا يزداد غرساً فعاش الاغنياء ناعمي البال آمنين من مصادرة الاموال

والغني ينمو وقلاً يستطيع الغني ان ينفق كل ربيع امواله فتزيد وتتراكم سنة بعد اخرى ومن ثم قام في الممالك الدستورية الاغنياء الكبار مثل بيت رتسيلد وبيت استور وبيت قنדר بلك وكارنيجي وركفلر وغيرهم من الذين فاقوا بغنائهم الملوك والامراء ولم يكشف هؤلاء الاغنياء بالاحتفاظ باموالهم بل صارت لهم السلطة السياسية ايضاً في البلدان التي هم فيها حتى جعلوا جيوشها واساطيلها رهن امرهم وضوع اشارتهم تدافع عن اموالهم بدمائهم وهذا معنى ما يقوله الآن ساسة انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا « مصالحنا » اي متاجر اغنياء بلادهم واموالهم المدانة للام الاخرى . فصالح فرنسا في مصر هي البنك العقاري الذي اكثراهم وسنداته في يد الفرنسيين وبنك الكريدي ليونه الذي اكثرامواله منهم وجانب كبير من دين الحكومة المصرية الذي يخص اناساً من الفرنسيين والمتاجر التي ترد كل سنة من فرنسا وتباع في هذا القطر . وقس على ذلك مصالح المانيا وايطاليا والنمسا وبلجكا . ومن هذا القبيل مصالح انكلترا ايضاً ويزاد عليها حصتها الكبيرة من ترعة السويس وكون هذه التركة طريقاً الى املائها ومصالحها في الهند

واذا بحثت عن اصحاب هذه المصالح الحقيقيين من انكليز وفرنسيين والمانيين ونسويين وبلجيكيين وايطاليين وجدتهم الاغنياء اصحاب البنوك والمعامل والمصانع الذين لا يتجاوز عددهم الالوف او المئات واما جمهور الشعب من الفلاحين والعمال الذين يعدون بعشرات الملايين فلا يملكون شيئاً من هذه المصالح وغنى مصر وغيرها من البلدان الشرقية لا يكسبهم رغيفاً فوق الرغيف الذي ياكلونه وفقرها لا يخسرهم غرساً . وقس عليهم الجنود البرية والبحرية الذين يدافعون عن مصالح بلدانهم بدمائهم مسوقين الى الحروب كالانعام فانه ليس لهم سهم من تلك المصالح وانما هي مصالح الاغنياء وهم تخدم مسيرون في هذا التيار تيار خدمة الوطن ومصالحه وقد نقدّم لنا في مقالة سابقة ان للانكليز ٢٧٠٠ مليون من الجنيهات مثمرة (موظفة) في غير الجزائر البريطانية فمنها ١١٧٠ مليون جنيه في اميركا وكندا و ٥٣٥ مليون جنيه في افريقية و ٤٥١ مليون جنيه في اسيا و ٣٤٧ مليون جنيه في استراليا و ٢٠٥ ملايين جنيه في ممالك اوربا و ١٥٠ مليون جنيه في اميركا الجنوبية . ولسائر ممالك اوربا اموال مثمرة في كل البلدان

ويقدّر مجموعها كلها بنحو ستة آلاف مليون جنيه . وهذه الاموال تزيد كل سنة زيادة فاحشة فقد ذكرنا في جزء اغسطس الماضي انه يفضل مع الانكليز كل سنة نحو مئة مليون جنيه وهي فضلة دخلهم على نفقاتهم واحصى بعضهم ما يفضل عند غيرهم من الام فوجد انه يفضل كل سنة عند اهالي الولايات المتحدة ١٢٠ مليون جنيه وعند الفرنسيين ٨٠ مليون جنيه وعند الالمانيين ٦٠ مليون جنيه وعند البلجيكيين والهولنديين والسويسريين ٥٠ مليون جنيه وعند النموسيين ٣٢ مليون جنيه وعند الروسيين ٣٢ مليون جنيه ايضاً وعند الايطاليين ١٢ مليون جنيه وعند الاسبانيين والبرتغاليين ١٢ مليون جنيه وعند الاسوجيين والنرويجيين ثمانية ملايين جنيه والجملة نحو ٥٠٠ مليون جنيه

هذه الاموال الطائلة تفضل كل سنة عمّا ينفقه الاوربيون واهالي الولايات المتحدة فيوسعون بها الاعمال في بلدانهم المختلفة ويثرونها في اسيا وافريقية . واذا تذكرنا ما قاله الحكيم وهو ان المديون عبد للدائن فهم يستعبدون باموالهم سكان اسيا وافريقية بتدبيرهم اياها المئة باربعة الى ستة او سبعة في السنة وبتقاضون ربعها منهم وهو لا يقل عن ثلثمئة مليون جنيه

ولكن الذي يحول في البلدان الاوربية لا يرى جمهور الاهالي على ثروة طائلة بل بالضد من ذلك يراهم فقراء يعيشون من يدهم الى فهم كما يقول المثل الانكليزي واذا ابطوا العمل بسبب المرض او المطر تضوروا جوعاً وقد يموتون جوعاً بالفعل فجمهور الاهالي او تسعة وتسعون في المئة منهم لا ينالهم شيء من هذه الثروة فهي خاصة بالاغنياء وهم خدام لهم يخدمونهم بقوى اجسامهم وعقولهم كما تخدمهم الام المديونة لهم

تدفع الحكومة العثمانية لاصحاب الديون من الاوربيين اكثر من ثمانية ملايين من الليرات كل سنة ولا يزيد دخل شعبها كله على ثمانين مليون ليرة فاكثروا من عشر دخلهم يذهب الى نفر قليل من اصحاب ديونها عدا ما يكسبونه من متاجرهم مع تركيا . وتدفع الحكومة المصرية وشعبها لاصحاب الديون المصرية من الاوربيين ستة ملايين من الجنيهات او اكثر وقد لا يزيد دخل القطر المصري كله على خمسين مليوناً من الجنيهات فهو يدفع اثني عشر في المئة من هذا الدخل للمدائنين . وقس على ذلك سائر البلدان المديونة لهم . واذا تأخرت بلاد عن دفع دينها او اذا ظن في بلادها انها تستطيع ان تستدين من اموال هؤلاء الاغنياء وهي لا تستدين منها او انها تستطيع ان تشتري من بضائعهم وهي لا تشتري استخدموا كل ما لديهم من الوسائل لجعلها تدفع ربي دينها على آخر بارعة وجعلها تستدين منهم وتشتري من بضائعهم وهذا سبب تعرضهم لشؤون البلدان المختلفة في اسيا وافريقية واتباعهم سياسة

الباب المفتوح واهتمامهم بالمقاطعة التجارية وعدّها حرباً عداية

وجملة القول ان السلطة الفعلية انتقلت او اخذت تنتقل من اصحاب الامارة الى اصحاب الاموال - وصار اهتمام اصحاب الامارة بالسلطة على مقدار نفعهم منها لانهم هم ايضاً صاروا شركاء مع التجار في المتاجر والاسهم والسندات . فهل خسر الشعب بما تمّ حتى الآن من انتقال السلطة الى اصحاب الاموال وهل تزيد خسارته اذا تمّ هذا الانتقال كما ينتظر . والجواب كلاً لان نسبة الشعب الى اصحاب الامارة كانت نسبة العبد الذليل الى سيده العاني واما نسبته الى اصحاب الاموال فنسبة الخادم القوي الى سيده الضعيف فتراه يعتصب على اصحاب الاموال من وقت الى آخر فيضطر هؤلاء ان يراضوه ويرفعوا اجوره . ولم يكن احد من عامة الشعب يطمع بالامارة اما الغني فسيبيله مفتوح امام كل مجتهد مقتصد ولذلك قد ترى الواحد الآن يولد وهو من افقر الفقراء ويموت وهو من اغني الاغنياء . وقلما كان اصحاب الامارة يهتمون بتوزيع سلطتهم على شعبهم اما الاغنياء فكثيراً ما ينفقون الاموال على الاعمال العمومية النافعة لجمهور الشعب واذا كان اولاد الملك لا يصلحون لان يخلّفوه لم يستطيعوا ان يوزعوا سلطتهم على شعبه واما اولاد الاغنياء فاذا لم يستطيعوا الاحتفاظ باموال ابهم بذروها وبددوها فنتوزع على الجمهور ثانية . واموال الاغنياء عملت كل الاعمال العظيمة المؤسّسة على الاختراعات الحديثة التي بها قلت المشاق وزادت الراحة . والخلاصة ان هذا الانتقال ليس بضائر اذا نظرنا اليه في الامامة اية اي ان ابناء الامة الواحدة لا يضرون بانتقال السلطة من امرائهم الى اغنيائهم بل يستفيدون ولكن ما يصدق على ابناء الامة الواحدة بالنسبة الى امرائها واغنيائها لا يصدق عليهم بالنسبة الى اغنياء غيرها من الامم فلنتدبر ذلك الامم الشرقية لثلاً تضعيب البقية الباقية لما من العزة والحريّة باستعبادها للموكها ولاغنياء الامم الاخرى

اما الامم التي وضع على عنقها نير الدين واستحكمت حلقاته كالامة المصرية فسيبيلها الوحيد لاسترجاع حريتها الاجتهاد والاقتصاد . الاجتهاد حتى تكثر موارد دخلها وتزيد وذلك باثنتان الزراعة والصناعة وكل الاعمال المنتجة وهذا الباب واسع جداً لانه اذا استطاع زيد ان يستغل من فدانهِ ثمانية قناطير من القطن وثمانية ارادب من القمح و ١٥ اردباً من الثرة وجب ان يستطيع ذلك كل احد لان ارض مصر تكاد تكون واحدة في معدنها . والاقتصاد في النفقات ولا سيما اقتصاد الاغنياء الذين يبذرون اموالهم على ما لا يفيد احداً . فاذا زادت ثروة البلاد وتخلصت من ديونها سهل عليها نيل كل حريّة

(١) فلسفة شوبنهاور

شوبنهاور زعيم فلسفة التشاؤم ومن كبار فلاسفة الالمان في القرن التاسع عشر ولد سنة ١٧٨٨ وقضى صباه في المانيا وفرنسا وانجلترا تبعاً لرأي والده في التربية . فنشأ من ذلك حرّ الفكر لم تقيّد عقله قيود المدارس التي تضر الكثير وتنفع القليل . وكان غرض والده ان يعدّه للتجارة ولكنه لم يحقق هذا الغرض اذ مات منتحراً نتيجة افلاس مالي . اما امه وكانت كاتبة بارعة في الفنون فلحظت تشوّقه الى العلوم فأدخلته في احدى الجامعات فنبغ فيها وبدأت بوادي فلسفته من ذلك الوقت . فكان على شدة شهواته كالبجّالها كما تشهد بذلك مذكراته التي قال فيها احد مترجميه انها غير خليقة بالظهور امام الجمهور . ولما ترك الجامعة كانت افكاره قد اختمت فألف كتابه المشهور : العالم ارادة وتصوّر

ولكن قضى عليه ان يموت قبل ان يثبته العلماء لاقواله على شدة الحاحه بعلم فلسفته وقدرها . اما الان فيعد في مصاف العلماء الذين قدموا الفلسفة واسفروا عن الطبيعة الخفايا الكثيرة . وقد عاش عزباً الى ان مات في سنة ١٨٦٠

١ الحقيقي والتصوري

قال شوبنهاور عن كتابه انه ليس نظاماً فلسفياً بل تصوّر يمكن تطبيقه على كل اعمالنا . وهذا التصوّر ينحصر في القول بان كل الاشياء التي حولنا - كل هذا العالم الذي نشعر به او نراه هو خيال ولا نعرف حقيقته . مثال ذلك هذا الكتاب فنحن لا ندرك حقيقة الكتاب بل ندرك ما تدلنا عليه حواسنا عنه . فعلنا عن الكتاب تصوري خيالي لا حقيقة . فلوزادت فينا قوة الشم مثلاً الى درجتها في الكلب لنغير ما نعرفه عن الكتاب فنحن اذن نعرف ظاهر الشيء او هيئته اما ذاتيته او حقيقته فلا نعرفها لان حواسنا تدلنا فقط على ظواهر الاشياء . فاذا اردنا ان نفهم كنه الطبيعة او سرها وجب ان نعلم على شيء آخر غير حواسنا

ولكن علومنا ومعارفنا كلها مبنية على ادراك الحواس . اذن فعلمونا خطأ ونحن نعرف ظواهر الاشياء لا حقيقته

ولكننا نرى في الطبيعة نواميس ثابتة تدل على قوة كامنة فيها كالجاذبية مثلاً . ويقول شوبنهاور ان الجاذبية هي مظهر من مظاهر القوة العالمية التي يسميها بالارادة

فالارادة هي الحقيقة الوحيدة التي نعرفها . ونحن نعرفها من أنفسنا أولاً فهي تعبر عن نفسها فينا بالشهوات والغرائز وتعبر عن نفسها في العالم بكل المظاهر التي تظهر امامنا . فحركة السيارات وجري الرياح والانهار وقتال الوحوش والحياة نفسها — كل هذه نعتبر من مظاهر القوة او الارادة العالمية . فالارادة حقيقية فينا بمعنى أنها غير مبنية على الحواس التي تنقل لنا صور الاشياء او هيئتها وهي اس الحركة والعمل فينا وفي الطبيعة

٢ فلسفة الشاؤم

ولكن ما هي نتيجة هذا التصور ؟ لنبحث أولاً عن حقيقة الارادة
اذا اردنا ان نأكل غنينا بذلك اننا في حاجة الى الاكل . واذا لم نكف هذه الحاجة
شعرنا بالأم الجوع

فالارادة دليل حاجة في جسمنا . وهذه الحاجة دليل ألم يهدأ بالاكل فالارادة ألم
ولكن السعادة المعروفة اليوم هي ان تهدأ نفوسنا أي ان لا نشافر طبيعتنا مع ما هو
حولنا . وبعبارة أخرى ارضاء ارادتنا
ولكن ارادتنا ألم فهل ارضاء الألم سعادة ؟

اذا اردت ان اسديك فضلاً فلا ينبغي ان اكثفي بابقاء ما علي لك من الدين . ولكن
هذه هي السعادة . فالتبيعة اذا أرضت شهواتنا او ارادتنا سمينا أنفسنا سعداء بمعنى انها اذا
اوفت دينها ولم ترد عليه شيئاً اغتبطنا وفرحنا بما نحن فيه من السعادة
هذه هي فلسفة الشاؤم . أي ان السعادة من الاوهام الفارغة التي نجري وراءها ولا
نصل اليها . والانسان عبد لارادته وبالنتيجة هو اناني فاذا سعد فبؤس غيره وقيمة الجنيه
الذي في جيبه تزيد بقدر احتياج غيره اليه

وقد انكر ان الله يجازي الانسان في الحياة الثانية وقال ان الانسان مقضي عليه بالشقاء في
هذه الدنيا ودواؤه الوحيد ان يتخلص من حياته ويتخلص غيره بالتبطل وعدم ولادة الاولاد
وقد فعل بما قال يل وزاد فعاش عزباً طول حياته واشتد كرهه للنساء لانهن سبب
تخليد نوع الانسان الى حد ان ضرب واحدة منهن وغرم بدفع اعانة شهرية لها الى ان مات
هذه هي خلاصة الخلاصة لما ارتآه في الكتاب المشار اليه واهم اعتراض على هذه
الفلسفة أولاً ان السعادة ليست غرض الانسان — اذا أريد بالسعادة اطمئنان النفس الى
ما حولها . وثانياً ان الانانية التي هي اس اعمالنا حتى في تضحية انفسنا فضيلة يجب ان تمدح
ونقوى على أساليب معقولة

الميزانية العثمانية

خلاصة اجمالية لميزانية سنة ١٣٢٥ المالية العثمانية التي انتهى مجلس المبعوثان من المناقشة فيها في ١٣ اغسطس الماضي

المصروفات	غرش
الديون العمومية	٨٢٩٤٢٦٢٠٢
الخزينة الخاصة	٥٢٢٥٧٠٢٧
المجلس العمومي (الاعيان والمبعوثان)	٢١٥٣٤٦٠٠
الصدارة	٣٤٤٩٤١٧
شورى الدولة	٥١٥٢٢٢٧
الداخلية	٨٥١١٢٩٢
الامن العام	٤٠٣٦٣٠١٠
الخارجية	٢١٨٣١٠٢٥
المالية	٢٧٢٣٢٣٤٨٢
ديوان المحاسبات	١٦٢٨٤٠٠
الرسومات (الجمارك)	٥١٤٨٣٨٧٦
البوستة والتلغراف	٦٩٢٨٩٩٥٣
الحربية	٨٢٨٠٥٤٢٦٣
الطوبخانه	٤٣١٤٥١٤٨
الجندرية	١٨٠٠٧١٤٦٢
البحرية	١٢٢٨٨٤٠٨٦
العلمية (المشيخة)	٤٨٥٤٣٣٧٧
العسكرية والمذاهب	٦٥١٩١٧٢٠
المعارف	٦٦٠٥٢٧٥١
الحراج والمعادن والزراعة	٣٣٤٢٦٢٩٦
التجارة والنافعة (التجارة والاشغال)	١٠٦٤١٢٣٥٥
السكة الحديدية الحجازية	٦٩٣٢٥١٢٤

١١٣٨٢.٠٠٠	الدقتر اخلاقاني (قداسترو)
١.٠٩٢.٠٨٠	الصحة
٣.٠٥٢.٨٣١.١٧٢						المجموع
						الايادات
٢٤٣.٥٧٦.٤٠٠	ضريبة الاملاك والعقار
٤٧٢.١٧٥.٠٠	ضريبة التمتع
١٢٨.٩٦١.٢٠٠	البدل النقدي
٢٨.٣٤٤.٤٠٠	التكاليف الشخصية في الطرق والمعاير
١٦٦.٩٣٤.٩٠٠	رسوم الاغنام والجمال والجواميس
٥٣٨.٣١٠.٢٠٠	الاعشار
١٢.٦٨٦.١٠٠	الرسوم التي تؤخذ من الغابات الخصوصية
٥.٥٥٥.٨٠٠	رسوم المعادن
٥.٦٦٠.١٠٠	اثمان تذاكر الضرائب
٦٢.٠٣٣.٣٠٠	حاصلات الاملاك الاميرية المحولة من الخزينة الخاصة
٧٧.١٢٣.٠٠٠	حصة اعانة المنافع والمعارف
٤٢.٥١٦.٠٠٠	رسوم التمغة
٣٧.٠١٢.٨٠٠	الخروج
٢٦.٨٨٥.٨٠٠	القيديات
٢٨.٥٢٤.٣٠٠	رسوم المسكرات وبيع التنباك
٣٩٤.٦٢٤.٤٠٠	رسوم الكمرك
١٦.١٥٥.٤٠٠	رسوم البحريّة
١.٩٣٢.٨٠٠	رسوم صحة الحيوانات
١٣.٥٣٤.١٠٠	الصيد البري والبحري
١١.٦٤٨.١٨٠٠	الملح
٩٥.٠٩٧.٣٠	الماخوذ من الربحي مع حصة الديون العمومية والخزينة
٤.٠٠٠.٠٠٠	ريجي التنباك
٧٢.٦٣.٤٠٠	البارود

١١٠١٣٠٠	المسكوكات
٧٩٢٥٨٩٠٠	البوستة والتلفراف
٧٦٠٠٠٠	حاصلات تشغيل السكة الحديدية الحجازية
٥٧٢٠٦٠٠	معمل الهواء الغازي بطوله بنجحه
٩٢٠٠٠٠	حاصلات مكتب الصنائع
٥٩٣٦٥٠٠	واردات كباري الخليج
١٢٤١٣٤٠٠	حاصلات المعادن
٨٦٢٦٠٠٠	الايادات من بيع الاملاك المعجلة والايجار
٢٤٣٧١٠٠	اثمان الاشياء التي تباع
١٥٤٨٥٠٠٠	حاصلات الحراج الاميرية
٨٧١٣١٦٠٠	ويركو مصر وبلغ وقبرس واينه روز وسيسام
٨٩٤٦٧٠٠	الواردات المتحصلة من معاملات الخزينة
٧٧٠٩٨٠٠	تمتعات بنوك الزراعة
٣٠٧٧٠٠	حاصلات المكتب الطبي
١٩٣١٠٠	براءات الاختراع
١٧٢٥٧٠٠	الجزاء النقدي (الغرامات)
١١٩٣٥٠٠	حصة الخزينة من حاصلات الشركات ذات الامتيازات
١٧٣٢٤٠٠	من السكك الحديدية
١٧٦٨٠٠٠	من القومبايات ذات الامتياز مقابل التفثيش
٢٤٠٥٤٠٠٠	اعانات السكة الحديدية الحجازية
٥٨٦٣٤٣	التجهيزات العسكرية
٣٩٠٠١٦٠٠	الحاصلات المتفرقة

٢٥٠٧٨٩٦٢٠٠

المجموع

هذا وبتعذر علينا ان نبدي اقل رأي في هذه الميزانية لان ليس لدينا شيء من تفاصيلها ولكننا كنا نود ان نذكر منها ما اذا بلغت فوائد الديون العمومية ثمانية ملايين من الليرات ولو اضيف اليها الدين الذي يدفع ويركو مصر فائدة له وكم هي الفائدة الحقيقية وكم هي مبالغ

الاستهلاك . وكيف تكفي ثمانية ملايين من الليرات لجيش عامل يبلغ نحو نصف مليون الى غير ذلك مما لا بد من الوقوف عليه عند نشر الميزانية المفصلة

الاعيان والمبعوثان

جلسة الختام في هذا العام

الثام مجلس المبعوثان يوم السبت ٢١ اغسطس وقرأ الرئيس خطبة الوداع وهذا نعرها
أيها الزملاء المحترمون

اليوم يختم اجتماع مجلس المبعوثان لعامه الاول . وكنت اود ان اذكر مجملاً للاعمال التي قننا بها فيه لو وجدت المجال ذا سعة . كان رجاؤنا في بادىء الامر اننا نستطيع اتمام الاعمال التي ناطت الامة بنا البحث فيها ونقريها في الاربعة الاشهر التي ضربت موعداً لاجتماع المجلس ولكن توالى كل الحكومة وتوانيتها في ارسال البيانات والنظامات التي سنتها الينا أعاقنا فلم نتم اعمالنا طبق المرام . ثم اخذت تلك النظامات ترد على المجلس تباعاً فجعل ينظر فيها بعزيمة صادقة ونية صافية واذا شيع الاستبداد مثل امام عيوننا والفساد وراءه يرخي القائلون به ستار الدين عليه . اولئك جعلوا شعارهم « طلب الشريعة » ليمكنوا به من خداع الجنود حماة الدستور اولئك الذين راموا اهانة الشريعة السمحاء ومحو صولة الامة ودك صروح آمالها . اولئك السفلة الذين اتخذوا الحرية التي نلناها بعد جهاد شديد سلاحاً يقضون به لباناتهم فقابوا النعمة بالنعمة والاحسان بالكفران

واكن الجيش العثماني الباسل المملوء حمية وغيرة وطنية . ذلك الجيش الذي يضرب بسيف الامة ليزود عن حوضها ويذب عن حريتها طعن بمرهف الحق تلك الفئة الباغية التي لا خلاق لما فانشق عمود الفجر وأجفل الليل متعثراً بثوب الخيبة والفشل . وعاد المجلس الذي التأم اياماً في سان ستيانوا للدفاع عن حقوق الامة الى هذا المكان الذي نحن فيه الآن عاقداً العزم على ان يدك صرح الاستبداد الى الخفيض فلا يبق له عيناً ولا اثرأ

بدأ المجلس حينئذ يعلي كلمة الامة ويرفع قدرها ومكانتها ويوافق على النظامات التي تسعدها وتنفذ الحكومة والبلاد . اما الذين يقولون ان المجلس لم يأت عملاً مذكوراً فاني احول انظارهم الى مجمل اعماله ليبصروا خطاهم

فقد عرضت الحكومة على مجلسنا ثلاثة وسبعين نظاماً فصادق على ثلاثة وخمسين نظاماً

منها بعد مناقشات عنيفة طال الاخذ والرد فيها ولا تزال النظامات الباقية منها معروضة على رجال القومسيونات يبحثون فيها ويدققون . ورفع حضرات النواب ٦٦٨ تقريراً قبل منها ١٥٨ تقريراً ارسلت الى النظارات لترى رأيها فيها واهملت التقارير الاخرى

ورفع الى المجلس عشرة آلاف اقتراح قبل منها ٤٥٠٠ اقتراح ورفض ٥٢٠٠ اقتراح منها وما بقي منها لا يزال معروضاً على بساط البحث . واذا علم ما تقتضيه هذه الاقتراحات من الوقت للمناقشة فيها والمناقشة في بعضها اكثر من مرة بسبب تعديل مجلس الاياعان له ثبت جلياً ان اعضاء المجلس الكرام لم يقضوا الشهور التي اجتمعوا فيها عبثاً ولا ذهبت اتعابهم سدى ولا كانوا مشدودي الايدي . فالحق والواجب يقضيان بشكر المبعوثان ولا سيما رجال القومسيونات لما بذلوه من الهمة وذلوله من الصعاب

لما فتح مجلس المبعوثان لم يكن فيه شيء معداً ولكن المساعي التي بذلها زملائي المحترمون وقلم الادارة والمراسلات والمختزنون وقلم الاوراق والجنود المحافظون على المجلس سهلت كل امر عسير . وقد افردنا غرفاً للقومسيونات من الغرف الخاصة بنظاري العدلية والاقواق . ولما كانت هذه الغرف وغرف المجلس لا تكفي للاعمال فكرنا في ضم بنائي نظاري الاوقاف والعدلية الى بناء المجلس ولكن الصدر الاعظم ابلاغنا ان نظارة العدلية لا تستطيع اخلاء بنائها الآن فطلبنا من جلالة السلطان الاعظم مكاناً فانعم علينا بسراري جرانان ليجمع فيها مجلس المبعوثان

فهذا الانعام وعناية جلالة السلطان رئيس السلطين التنفيذية والتشريعية بمجلسنا يثبت لنا ميل جلالته الاكيد الى الدستور والى اعلاء مجد الوطن . فيحق لنا الافتخار بسلطان دستوري كجلالته (تصفيق) . ويجب علينا ان نشكر للحكومة الحاضرة ما بذلته من الهمة لانجاز القوانين وعرضها على مجلس النواب . وان نشق بان الحكومة التي قوامها رجال جد وعمل ذوو مقدرة وكفاءة سندان دفة الاصلاح فيها بكل دقة ومهارة

مواطني الكرام

عملت واياكم يداً واحدة تسعة اشهر ولما كان المرء لا يتعلم الواجب عليه في المدرسة بل في ساعات العمل اقول اني كنت غير مجرب للامور فاذا كنت قد هفوت في امر ففوتي رمية من غير رام . واعتقادي ان الهفوة التي يرتكبها المرء بنية حسنة يجب ان لا تكدر احداً . وقد كان من حسنات مجلسنا اننا تعارفنا وسيكون لهذا التعارف فضل في اتفاننا واثامنا في العام المقبل . اننا نفترق اليوم على امل اللقاء بعد ثلاثة اشهر . فالواجب علينا ان نسعى

ففيها جهدنا لنشد ربط السلام بين ابناء الامة ونشرب افئدتهم حب الدستور . فادعوا
لحضر ائكم بالنجاح واستودعكم الله (تصفيق شديد طويل)

ثم علا الصدر الاعظم منبر الخطابة وقرأ الخطبة التالية

علمت من الخطبة التي سمعتموها الآن ان مجلس النواب الذي اتم اعماله في ٧ يونيو سنة
١٢٩٣ لم يوافق الا على ثمانية عشر مشروعاً فواحداً منها فقط ينفع البلاد وهو مشروع المجلس
البلدية . اما المشروعات الاخرى فلم تكن الا كتب شكر وامتنان اما مجلسكم هذا (اي
مجلس المبعوثان) فقد وافق بالرغم عما لقيه في سبيله من الصعاب على ثلاثة وخمسين مشروعاً
كلها تؤيد الدستور وترقي البلاد وستبذل الحكومة جهدها في تنفيذها وسن نظمات تحتاج
البلاد اليها لعرضها على حضراتكم في اجتماعكم في السنة القادمة والحق يقال انكم ساعدتمونا في
اجتماعكم الماضية مساعدة نافعة نشكركم عليها اجزل شكر

واخرج حسين حلي باشا الخط الهمايوني من محفظة حرير احمر وتلاه وهذا تعريبه

لما كان اجتماع مجلس النواب في سنته الاولى قد انتهى في ٨ اغسطس سنة ١٣٢٥ طبقاً
لمادة ٤٣ من القانون الاساسي فقد نقرر ان يكون اجتماعه في السنة القادمة بارادة الله في اول
شهر نوفمبر وقد اصدرنا الارادة باطالة مدة المجلس منذ اليوم وكلفنا الصدر الاعظم ان يقرأ
ارادتنا في المجلس ويبلغ اعضاءه الكرام رضائنا السلطاني عن الهمة الحقة الوطنية التي ابدوها
الامضاء محمد رشاد

حسين حلي

وقرأ طلعت بك ناظر الداخلية الخط الهمايوني في مجلس الاعيان ثم تلا سعيد باشا

الخطبة التالية قال

انه وان كان هذا العام هو العام الاول لتنفيذ القانون الاساسي كما يستفاد من اقوال
الحكومة التنفيذية فقد صادق المجلس على عدة نظمات فيها فوائد كبيرة اذا نفذت فعلاً واذا
شئتم فانا نرجو من حضرة الناظر ان يكون ترجماناً في الاعراب عن عواطفنا الخالصة لجلالة
السلطان الاعظم وامتناننا العظيم من الاصلاح الذي جرى ومن العناية التي يظهرها جلالتهم
لمجلس الاعيان (نوافق نوافق) واشكر هيئة الحكومة باسم مجلس الاعيان لانها تقدر خدمة
الهيئة التشريعية حق قدرها . فقد انتهت مدة اجتماع مجلسي الاعيان والمبعوثان عملاً بذلك
الارادة التي سمعتموها وطبقاً للقانون الاساسي . انتهى

وكان هذا ختام اجتماعات المجلسين في هذا العام

باب الزراعة

الحاصلات المصرية

جاءت المزروعات هذا العام في القطر المصري شتاءً وصيفاً فاعتدل الهواء في الشتاء وكان الري وافيًا فلم يشك أحد من محصول القمح والفلو بل كان الكل شاكراً ولم يهبط سعر القمح لأنه زاد فهو لا يكفي حاجة البلاد فيبقى ثمنه مناسباً لثمن ما يرد منه من الخارج والقمح غال في أوربا بقي سعر الأردب من القمح المصري من ١٢٠ غرشاً إلى ١٥٠ غرشاً وهو سعر غالٍ أما الثبن — ومقطر عيشة محصورة في البلاد ولا يحتمل أن يشتريه الفلاحون من الخارج ولو قلَّ عما تحتاج إليه بهائمهم — فهبط سعر الحمل منه من مئة غرش إلى نحو ثلاثين غرشاً. وهبط سعر الفول أيضاً من ١٥٠ غرشاً إلى ما بين ١١٠ و ١٢٨ وسعر الشعير من ١٠٠ غرش إلى ٨٠ غرشاً

وجاء الفيضان باكراً وافيًا والهواء معتدلاً فجاءت زراعة القطن وزراعة الدرة. وقد أصيب القطن بالدودة وأصيبت معه الدرة أما القطن فإصابته غير عامة ويقدر نقصه بسبب الدودة بنحو ٥٠ في المئة ولكن الذي لم يصب زاد نموه ولوزه عن المعتاد وتقدر الزيادة بنحو عشرين في المئة عن العام الماضي وقد علمت مساحة الاطيان المزروعة قطعاً هذا العام بما يمكن من التدقيق فإذا هي أقل كثيراً من المساحة في العام الماضي لكن أرباب الزراعة يرجحون أن المساحة واحدة إن لم تكن هذا العام أوسع من العام الماضي فإذا ثبت ذلك فموسم هذا العام يكون أكبر من موسم العام الماضي بنحو خمسة في المئة على الأقل فيبلغ سبعة ملايين قنطار لأن موسم العام الماضي بلغ نحو ستة ملايين وثلاثي المليون من القناطير

وسعر القطن الآن جيد جداً فقد بلغ سعر القنطار إلى حين كتابة هذه السطور أكثر من ١٨ ريالاً وسعر أردب البزرة أكثر من ثمانين غرشاً وكثيرون قطعوا سعر اقطانهم من الآن بأربع مئة وعشرة غروش القنطار. فإذا بلغ الموسم سبعة ملايين قنطار وكان متوسط سعره للفلاح ٤١٠ غروش بلغ مجموع ثمنه ٢٨ مليوناً و ٧٠٠ ألف جنيه هذا عدا ما يضاف إليه حين يبيعه الخارج من اجرة الحليج والحزم والرزم والشحن وربح السمسار والتاجر فيفوق

الثمن الذي يأخذه القطر المصري من اهالي اوربا واميركا الذين يشترونه ٣١ مليون من الجنيهات

ونمو الذرة جيد جداً لاسيما وان اكثرها مبكر والذي اكلته الدودة أعيد زرعهُ إلا ما كان منه مبكراً جداً وضربته الدودة بعد ان بلغ اشدّه من النمو . ولعلّ ضرب الدودة له هذا العام يمنع الناس من التبكير الكثير في زرعهِ في الاعوام المقبلة . والمرجح ان موسم الذرة هذا العام يكون اكبر من موسم الذرة في العام الماضي بنحو عشرين في المئة اذا سلم من الآفات الجوية

اصلاح الاطيان بالمصارف

لا شبهة في ان توفر الري الصيفي في القطر المصري يثلف الاطيان ان لم يتلاف هذا التلف بالمصارف فلما كانت الارض تزرع زراعة واحدة نيلية فقط كان حر الصيف وجفافه يجففان التربة فتستعد للزراعة الشتوية في العام التالي اما وقد شاعت الزراعة الصيفية فلم تعد الاطيان تجف صيفاً بل صارت رطوبتها تزيد فتتراكم الدفونة والحموضة في طبقتها السفلى التي تنتشر فيها جذور المزروعات

وتختلف طبيعة الاطيان بين المتراخي الاجزاء الذي يمكن صرفه وتخفيفه على عشرات من الاقصاب وبين المتماسك الاجزاء الذي لا يصرف جيداً الا على اربع قصبات او خمس والغالب ان الاخير يكون اجود من الاول اذا أحسن صرفه يجعل المصارف قريبة بعضها من بعض فتشق في الارض طولاً من اعلاها الى اسفلها ويجعل البعد بين المصرف والمصرف اربع قصبات او خمسا على الاكثر ولا عبرة بطول المصرف مهما كان ولكن العبارة تعرض القطعة التي بين كل مصرفين فاضيقها اسفلها صرفاً واقربها اصلاً حتى لقد تصلح الارض في سنة واحدة مهما كانت كثيرة الملوحة واذا وضع حطب القطن في هذه المصارف وردمت بقيت تصرف من اسفلها واعيد سطحها الى الزراعة فتجود المزروعات فيها اكثر مما تجود في غيرها فلا يخسر الغيط شيئاً من مساحته

ولا بد من تعميق المصارف الى آخر ما يمكن بالنسبة الى المصرف العمومي الذي نصب فيه ويجب تسليكه من وقت الى آخر مما يتجمع فيها من الاتربة والحشائش التي تمنع جريان الماء فيها . ويجب ان يزيد الاهتمام بالمصرف على الاهتمام بالري

واذا كانت الارض لا تصرف بالراحة لانخفاضها عن المصرف العمومي فهي طبعاً ما

يروى بالراحة فيجب ان تحفر لها مصارف كما تقدم تصب في مصرف عمومي لما وتوضع عليه طلبا رافعة ترفع الماء منه وتصبه في المصرف العام والانفاق على الطلبا الرافعة هنا للصرف كالانفاق على الطلبا الرافعة في الاطيان التي لا تروى بالراحة ويجب ان لا يكون الاهتمام بها اقل من الاهتمام بطلبا الري

صلاحية مياه الصرف

يظن البعض ان مياه الصرف كلها غير صالحة للارواء وهذا غير صحيح فاذا كانت الارض كثيرة الاملاح المضرّة بالزراعة فالمياه التي تصرف منها غير صالحة لارواء غيرها وهذا نادر جداً في الوجه القبلي من القطر المصري وغير كثير الا في الجهات السفلى من الوجه البحري . واذا كانت الارض خالية من الاملاح التي تضرّ بالزراعة فالمياه التي تصرف منها تكون اجود من مياه النيل واجود من المياه التي تروى بها عادة لانها تكون حاوية لكثير من المواد التي تغذي المزروعات وقد ذابت فيها من الارض التي صرفت منها

ورب معترض يقول ان كانت هذه المياه صالحة للري وللزراعة فلماذا صرفت من الارض والجواب انها تصرف منها لسببين الاول انه حين صرفها يتخلل الهواء التربة بدل الماء الذي يخرج منها والهواء يساعد على حل المواد الترابية وجعلها غذاءً لجذور النبات والثاني ان الجذور قد تنعفن بوجود الماء حولها أي يتولد فيها وعليها مولدات العفن فتتلف ولكن هذا لا يمنع ان يكون الماء صالحاً جداً لارواء الارض الجافة

وليس من الحكمة اجراء مياه المصارف كلها الى بحر الروم قبل فحسها فحساً كياوياً ووجودها حاوية املاحاً تضرّ بالزراعة لان اضعفها من غير موجب خسارة كبيرة على القطر وهو في اشد الحاجة الى الاكثار من ماء الري والى تغذية المزروعات . وقولنا هذا لا ينفي وجوب الصرف فالصرف لازم على كل حال ولكن مياه الصرف قد تكون ضارة بالزراعة فيجب صيها في مصرف عمومي تجري به الى بحر الروم وقد تكون مفيدة لما فيجب الاحتفاظ بكل نقطة منها

ومن الامثلة التي تؤيد ما تقدم ان اراضي الفيوم المنحدرة نحو بحيرة قارون يصرف بعضها في بعض وتختلط مياه الصرف من عليها بمياه الري التي يروى بها واطئها ومع ذلك فالاطيان السفلى القريبة من البحيرة تأتي بمحصولات من القمح والذرة والفول والبرسيم والقطن كاجود الاطيان المصرية . فلو كانت مياه الصرف كلها ضارة على حدّ سوى للزم ان

تكون تلك الاطيان بوراً لا تنبت شيئاً . وقد نجمع فيها بعض الاملاح من ركود الماء فيها وتجزء منها من غير صرفه فتضر ولكن يكون ضررها من قلة الصرف لا من ان الماء الذي اتاها كان حاوياً مقداراً غير عادي من الاملاح فاضراً بها . وهذا لا ينبغي ان تكثر الاملاح في بعض الاطيان العالية من اهلها فتصير المياه التي تصرف فيها كثيرة الاملاح وتضر بالاطيان التي تنصرف اليها

العلف والمواشي

ان غلاء العلف في العام الماضي من الفول والتبن والشعير اضر بمواشي القطر ضرراً كبيراً فلم تر في سنة من السنين المواشي نحيفة عجفاء كما رأيناها هذا العام حتى ثيران الوسايا الكبيرة تراها نحيفة لا تستطيع ان تعمل ما كانت تعمل قبلاً من الاعمال الشاقة في الحرث والتقصيب ومن المقرر ان الجسم النحيف الضعيف لا يكون شديد المقاومة للأمراض الوبائية كالاجسام الممتلئة قوة ونشاطاً ولذلك لا يزال الطاعون البقري يفتك بمواشي القطر مع ما اتخذ من الوسائل لاستئصاله . وما دامت الاطيان قليلة واثمنها غالية وكذلك اثمان الحاصلات فلا نرى مندوحة لاهالي القطر عن الاكثار من استخدام الآلات البخارية بدل المواشي لان علف المواشي صار غالياً جداً واذا لم تعلق جيداً ضعفت وتعرضت للأمراض ولم تعد قادرة على القيام بخدمة الزراعة . وهذه المسألة من اهم المسائل الزراعية في القطر المصري

المواشي الحجرية

لما كثر فتك طاعون المواشي في القطر المصري جلبت الجمعية الزراعية الخديوية ثيراناً من بلدان مختلفة وفي جملتها ثيران مجرية بيضاء اللون طويلة القرون وقد اشترينا البعض منها على سبيل التجربة واقتناها على التقصيب مع الثيران البلدية التي من اجود الانواع ومضى عليها الآن بضع سنوات وهي تعمل مع المواشي البلدية وقد اكد لنا مفتش زراعتنا انها تفوق الثيران البلدية نشاطاً وهمة وصبراً على التعب الشديد وانه اذا رأى قطعة ارض صعبة الحرث او صعبة التقصيب ارسل اليها هذه الثيران فحرثتها او قصبتها حسب المراد وهو لو ارسل اليها الثيران البلدية لعجزت عنها او لتعبت فيها تعباً شديداً . والظاهر ان اقليم القطر المصري لا يضرها لانها تأكل مثل غيرها ولا تزال على نشاطها ونحن نشغلها في مديرية الغربية قرب قلين فعسى الذين اشترؤا من هذه الثيران ايضاً ان يذكروا ما رأوه من امرها

حياة البزور

للبزور او البذار او التقاوي حياة محدودة ولا عبء بما قاله البعض من ان حبوب القمح التي وجدت في ايدي المومياء المصرية زرعت فنبتت فان هذا القول وجد غير صحيح والذين زرعوا البزور لم يدققوا فنبت في الارض بزور اخرى غيرها لان حبوب مانيت دلت على انها من قمح غير القمح المصري القديم . ولا يزال كثير من البزور المصرية التي وجدت في المدافن القديمة معروضا في دار الآثار المصرية وهي كلها سوداء كالقمح ولا اثر فيها للحياة والغالب ان البزور التي تزرع في الجنائن تعيش او تبقى صالحة للزرع من سنتين الى تسع سنوات كما ترى في ما يلي

بزور البصل والذرة تبقى صالحة للزرع سنتين

بزور الهليون والجوز واللوبيا والفاصوليا تبقى صالحة للزرع اربع سنوات

بزور الخرشوف والكرب والقرنيط والخيار والخس والبطيخ واليقطين والفجل والاسباخ والكوسى والطماطم واللفت تبقى صالحة للزرع خمس سنوات

بزور الفول تبقى صالحة للزرع ست سنوات

بزور الكرفس والباذنجان تبقى صالحة للزرع سبع سنوات

بزور الهندباء (الشكوريا) تبقى صالحة للزرع تسع سنوات

وتختلف هذه المدة ايضا باختلاف الاقليم والحر والرطوبة . والظاهر ان جودة البذار وقدمه يؤثران في محصوله او ثمره فاذا كانت بزور البطيخ جديدة ابنة سنة فقط كبر نبات البطيخ وقل ثمره . واما اذا كان عمرها اربع سنوات او خمسا كان ثمرها اكثر كثيرا

واذا جفت اثمار الكستنا والجوز ونحوها لم تعد تفرخ . والنباتات البرية التي تبذر في ارض من نفسها وتفرخ من غير زرع اذا جمعت بزورها في الخريف ثم زرعتها في الربيع جادت اكثر مما تجود البزور التي تقع في الارض وتبقى فيها كل فصل الشتاء ثم تنبت في الربيع

ويجب ان يكون المكان الذي يحفظ فيه البزار او التقاوي جافا مطلقا للهواء ولا يحسن ان تحفظ التقاوي في اوعية ضابطة تمنع تحلل الهواء لها . وقد يحفظ الناس التقاوي في آنية من الصفيح منعاً لوصول السوس اليها . ولكن السوس يضر بها غالباً قبل وضعها في تلك

الآنية فلا يكون وضعها فيها وافيًا لها . والطرق التي افادت في حفظ البزور من السوس انما تفيد بقتل بيوض السوس وديدانه الصغيرة قبلما تكبر وتنخر البزور لا يمنع اماتها عن وضع بيضها على البزور لان الامات تضع بيضها على البزور وهي في الحقل او في الجرن (البيدر) قلنا ان البطيخ النبات من بزور جديدة يكون قليل الثمر لا كالبطيخ النبات من بزور قديمة فما ادرانا ان هذا الحكم لا يتمشى على القطن فهل جربت الجمعية الزراعية الخديوية زرع القطن من نقاوي عمرها سنتان وثلاث سنوات واربع سنوات وقابلت بينها وبين القطن المزروع من النقاوي الجديدة في الجودة وعود اللوز ومقدار المحصول

هذه مسألة من اهم المسائل الزراعية وقس على ذلك كل المزروعات فان الاسلوب الجاري فيها كلها عدم تعتيق البزور بل اخذ نقاوي هذا العام من محصول العام الماضي مررنا بالامس في غيط مزروع قطنًا وقطنه متوسط الجودة ولكن ما وقع منه قرب المراوي وقرب نزول المياه الى المصارف بعد الري جيد جدًّا وكذا القطن الذي في اطراف الغيط وهذا كله مما يمكن تعليقه بالري والصرف وتحلل الهواء للتربة ولكن في وسط الغيط اختلاف في نمو القطن لا يعلل بذلك فترى هنا شجرة اجود من غيرها جدًّا وهناك شجرة اضعف من غيرها وهذا الاختلاف غير ناتج عن اختلاف في جودة الارض بل عن اختلاف في النقاوي نفسها او عن اختلاف في زرع البزور فان البزرة قد تكون ضعيفة من اصلها وقد تكون قوية من اصلها وما يصدق على القطن يصدق على كل المزروعات فيجب ان تجرب التجارب التي توصل الي معرفة اجود النقاوي لاختيارها

توزيع الاطيان في القطر المصري

كان عدد الملاك في القطر المصري سنة ١٨٦٦ لا يزيد على ٧٦٧٢٦٠ نفسًا اما الآن فعددهم ١٣١٠٠٨٨ نفسًا فالزيادة في عدد الملاك كبيرة جدًّا في هذه السنوات القليلة تدل على اهتمام الوطنيين بامتلاك الاطيان وعلى توفر المال لدى صغارهم حتى صاروا من اصحاب الاطيان فقد كان عدد الوطنيين الذين يملك الواحد منهم ٥ افدنة فاقل ٦٠٨٣٧٣ نفسًا فصار عددهم ٨٠ ١١٦١ فكان عددهم يتضاعف في ١٢ سنة اما غير الوطنيين الذين من هذا النوع فكان عددهم ٢٧ ١ فصار ٢٧٦٥ اي زاد ٦٤ نفسًا لا غير وزاد ايضا عدد كبار المالكين الذين يملك الواحد منهم ٥٠ فدانًا فاكثر فكان ١٠٣٨٩ وكانوا يملكون ١٦٦٦٤٤٧ فصاروا ١٠٩٣١ وهم يملكون الآن ٦٤ ١٨٠ اي زاد ما يملكونه ١٣٣٦١٧ فدانًا . وعدد الملاك بين هذين

الحددين نقص ونقص أيضاً ما يملكونه ولكن المجموع كله بقي زائداً زيادة كبيرة كما تقدم وعدد الافدنة التي يملكونها زاد ٣٣٤٨٣٥ فدانا

اهم مزروعات القطر

اهم مزروعات القطر المصري الآن القطن والذرة والرز والقمح والفل والشعير والقصب والبرسيم فالقطن يشغل نحو ٢٢ في المئة من الاطيان والذرة نحو ٢٤ في المئة والرز نحو ٣ في المئة والقمح نحو ١٥ في المئة والفل نحو سبعة في المئة والشعير نحو ٦ في المئة والقصب نحو نصف في المئة والبرسيم نحو ٢٢ في المئة

المديريات والارض المزروعة

مساحة الارض المزروعة	القابلة للزراعة
اسيوط ٤٠٥٤٧٠	٦٩٧٨
اصوان ٥٦٩١٦	١٧٩٠٩
البحيرة ٦٥٢٣٣١	١١٦٣٧٢
بني سويف ٢٢٢٥١٣	٨٩١٠
جرجا ٣٠٤٨٦٣	٨٦٠٧
الجيزة ١٦٩٥١٥	٤٧٠٧١
الدقهلية ٤٩٠٥٢٥	١٠٦٧٧٧
السويس ١٤٨٧	٤٦٨٥٨
الشرقية ٥٤٤٣٦٨	٨٢٦٣٤
الغربية ٩٥٧٨٠٣	٥٥٨٤٣٦
الفيوم ٣٠٦٦٣٤	٤٠٠٥٧
القليوبية ١٨٢٣٢٣	٢٣٦٠٠
قنا ٣٠٦٨١٥	٤١٣٠٠
المنوفية ٣٤٥٧٩٠	٣٦٤٣
المنيا ٣٧٩١٥٩	١٢١٨٩

نخل القطر المصري

عدد الملاك	عدد النخل	المديرية
١٠٣٤٠	٢١٤٨٠٢	البحيرة
١٥١٢٠	١٢٤٤٤١	الدقهلية
١٨٠٤١	٣٤٩٠١١	الغربية
٠٩٤٤٩	٠٣٧٦٤٢	المنوفية
١٤٦٤٦	١٩٨٠١٩	القليوبية
٨٨٦٠٨	٨١٦٦٤٠	الشرقية
٧٧٥٥٧	٧٣٠٠٣٨	اسيوط
٦١٣٣٣	٧٠٥٩٦١	اصوان
٢٧٦٨٠	١٨٧١٢٥	بني سويف
٣٨٢٩٦	٤٣٧٧٥٦	الفيوم
٦٢٣٣٣	٥٦٦٧١٦	جرجا
٣٠٩٢٣	٤٣٥٦٠٣	الجيزة
٥٣٩٧٨	٤٨٨٠٢٣	المنيا
٦٥١٢٦	٦٢٣٨٥٧	قنا
٢١٠٠	٤٦٤٢٩	العريش
١٥٤	٣٩٤٧	السويس
٥٧٥٦٨٤	٥٩٦٦٠٠١	المجموع

الصناعة

الصناعة المصرية منذ مئة عام

(٧)

صناعة النفرنج

هذه الصناعة قديمة العهد في الديار المصرية ولها معامل في جهات عديدة منه اخصها في الوجه البحري

وينتج هذه المعامل بوجه عام من الطوب المحفف بالشمس على شكل مستطيل قائم الزوايا يقيمون على كل من جوانبه صفًا من الغرف ذات طبقتين يعترض بين كل غرفة وأخرى حائط من الطوب في نصفه الاعلى نافذة كبيرة يمرّ فيها العامل من غرفة الى أخرى تباغًا . وجميع سطوح الطبقتين العليا والسفلى مقببة وفي وسط كل منها فتحة فتستخدم الفتحة العليا لاجل خروج الدخان ودخول الهواء والسفلى للاتصال بين الطبقة السفلى والطبقة العليا ويرصفون البيض في ارض الطبقة السفلى بعضه الى بعض في رصيفين احدهما فوق الآخر فيضعون في كل غرفة نحو خمسة آلاف بيضة ويحمون الطبقة العليا بايقاد الزبل والتبن الناعم ممزوجًا بالتراب الناعم

ويكون هناك ثلاثة انفار فيقيمون النار بعد ذلك نهاراً وليلاً ويتعهدون البيض بالثقليل ويتفقدونه من حين الى آخر لعزل الانقاف ^(١) عند اول تفرنج البيض الذي يبدأ في اليوم الحادي والعشرين من هذه الحضانة الصناعية

وفي كل هذه المدة يجب ان تكون الحرارة معتدلة فتأمل ما أمكن حرارة الرنقاء ^(٢) ويستفرخون البيض في الشتاء دفعتين او ثلاث دفعات متوالية فيستعملون نحو مئتي ألف بيضة سنوياً في كل معمل يفرخ ثلاثة ارباعها فقط . ولكن ارباب المعامل لا يهتمهم ذلك لانهم لا يشترون البيض غالباً بل يرد اليهم من الفلاحين فيردون لهم اربعة فرارنج

(١) النفخ الفرخ حين يخرج من البيضة

(٢) الدجاجة القاعدة على بيضها وهي الرافدة بلغة مصر

(كتناكيت) مقابل كل ست عشرة بيضة . وبيع البيض كل مئة منه بنحو غرشين والفرايح كل ١٠٠ تقف بعشرين غرشاً اي بعشرة اضعاف ثمن البيض

(٨)

صيد الطيور والاسماك

يشغل صيد الطيور البحرية عدداً عديداً من سكان القرى المجاورة لبحر الروم والبحيرات التي في شمالي الدلتا فيصطادون البط وسائر الطيور المائية . واهم الطيور التي يصيدونها في سبتمبر واكتوبر السمان . فينصبون لصيده اشراكاً على الشواطئ البحرية ترتفع نحو متر او متر ونصف عن الارض متجهةً اتجاهاً عمودياً . فيصل السمان الى الشاطئ منهوكة من التعب في اجنيازه البحر من البلاد الاوربية فيسف^(١) في طيرانه ويلقى في الشباك التي تعترض في طريقه فيصطادون منه سنوياً كميات لا يحيط بها العد

اما صيد السمك فعام في جمع الجهات وله محلات خاصة على ضفاف بحيرتي البرلس والمنزلة أهمها قرية بلطيم في جوار بحيرة البرلس ويلبها عدد من القرى على شاطئ هذه البحيرة وجميع اهلها صيادو سمك . وفضلاً عن صيد الاسماك فان عدداً عظيماً منهم يشغل بتقديد بيض سمك البحر المالح وعمله بطارخ

ويستولي احد رؤساء البكوات على عوائد صيد السمك من هذه البحيرة فيبلغ دخله من ذلك سنوياً نحو ١٠٥٠٠ فرنك (اي اربع مئة جنيه مصري تقريباً) . وبلغ عدد الصيادين فيها نحو ٤٠٠

واهم مكان للصيد على شواطئ بحيرة المنزلة قرينا المطرية فان لاهاليهما نحو مائة وخمسين قارباً وذلك نصف مجموع قوارب الصيد في هذه البحيرة وما يصطاده اهل المطرية من السمك يرسل بعضه الى المنصورة ونواحيها والبعض الآخر وهو الاكبر الى دمياط حيث يقدونه ويبيعونه في القاهرة وبلاد الشام

الصناعة السورية

انتهينا في هذا الجزء من تلخيص الفصول التي كتبها المسيو جرار عن الصناعة المصرية في عهد الحملة الفرنسية اي منذ مئة عام . ويظهر منها ان الصناعة المصرية كانت حينئذ

(١) سف الطائر مر على وجه الارض

أوسع منها الآن من وجوه كثيرة فلم تزد الآن صناعة نقش النحاس وصناعات الورش التي ادخلها الاوريون لتصلح الآلات البخارية ونحوها وعمل المركبات . والسبب الأكبر لقلّة رواج الصناعة في هذا القطر عدم وجود قوّة رخيصة فيه لإدارة الآلات والادوات فليس فيه فحم يجري ولا فيه قوّة مائية أي ماء متحدّر لإدارة الآلات . فلما رخصت مصنوعات الاوريين بما اخترعوه من الآلات الكثيرة وباستخدام القوتين الطبيعيّتين الفحم الحجري والماء الجاري لم تعد المصنوعات الوطنية تستطيع ان تنافس المصنوعات الاوربية فحسر الصناع وابطلوا الصناعة او لم يتقدموا فيها بحسب تقدّم البلاد

ويظهر لنا مما كتبه فولته وغيره من السياح عن الصناعة السورية في ذلك الحين ومما رأيناه نحن منذ خمسين عاماً ان الصناعة السورية كانت كالصناعة المصرية تغني السوريين عن المصنوعات الاجنبية فلم يكونوا يجلبون من مواد اللبس الآ الطرايش المغربية والجوخ الافرنجي اما المنسوجات الاخرى من القطن والصوف والحرير فكانت تنسج كلها في البلاد من غزل رجاها ونسائها وكذلك الاحذية كانت تصنع كلها في البلاد من جلود تدبغ فيها والامتعة الخشبية كانت تصنع في البلاد من اشجارها فكانت البيوت تسقف بالواح وجسور وعروق (رفائد) من جنوب البلاد وصورها وكذا الصناديق والخزائن والمسارج والمقاعد والسكّلات فانها كلها كانت تصنع في البلاد من خشب البلاد . والفرش والحفّ والسائدات والملاءات كانت تصنع كلها من النجعة البلاد وكان يؤتى بالحصر من مصر ولكن الاكياس والبلس والبسط كانت تصنع في البلاد وآنية الخزف على انواعها من خواني وقدر وصحاف وسرج وجرار واباريق كانت تصنع في البلاد مدهونة وغير مدهونة . وكل الادوات الحديدية كانت تصنع في البلاد من حديد البلاد فان اهالي لبنان كانوا يسبكون الحديد في شعرة بعلبك وغيرها ويصنعون ادواتهم منه من الامخال الكبيرة الى المسامير الصغيرة ومن السيوف الى السكاكين . ويقال انهم كانوا يجدون الفضة في جهات صور وصيداء ولعل الفضة التي كانوا يجدونها ليست معدنية بل من النقود القديمة اما النحاس فكانوا يجلبونه من الخارج صفائح كما يجلب الآن ويصنعون منه كل الآنية النحاسية وكانوا يصنعون شيئاً من الزجاج يقوم بحاجتهم . ولو انقطعت البضائع الخارجية عن سورية في ذلك الحين لما افقر السكان اليها

ثم ضعفت الصناعة السورية برخص المصنوعات الاوربية حتى كادت تلتشى ولكن سورية ليست مثل مصر من حيث القوّة فان فيها فحماً جرياً صالحاً للوقود وهو قريب من

مناجم الحديد وحديدها من اجود ما يكون وفيها قوة مائية كثيرة ويمكن زيادتها ايضاً باقامة الخزانات في سفوح الجبال اي فيها اهم لوازم الصناعة فلا شيء يمنع ان تصير مثل سويسرا او بلجيكا او فرنسا او انكلترا من هذا القبيل فيصير اكثر اعتماد اهلها في معيشتهم على الصناعة مع الزراعة كما كانوا منذ مئة عام ويتقدمون عما كانوا عليه حينئذ على نسبة نقد الامم الراقية في هذا العصر

ولم يكن هذا القول ممكناً منذ سنين لانه كان يسهل على معمل اوربي ان يهرطل وزيراً او والياً فيتلف اكبر معمل سوري اما الآن فلم يعد ذلك في حيز الامكان بل صار من الحتم ان يقاطع الوطنيون البضائع الاوربية ايضاً فتزيد المصنوعات الوطنية رواجاً وقد زيدت رسوم الكرك على البضائع الاوربية الى الحد الذي يقال له حماية لكن المعامل تحتاج الى اموال طائلة لانشاءها والبلاد فقيرة منهوكة فلا بد لها من زمن لاسترجاع قوتها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفة من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

في اي سن يصبح الزواج

آراء سيدات متعلات

اشتهرت فتاة انكليزية اسمها ماي ساتن بطول باعها في تدبير المقالات العمرانية والاجتماعية وحدة ذهنها في ذلك . وقد اجتمع بهذه الفتاة منذ ايام يسيرة مكاتب جريدة الدالي مابل وسأنا لماذا لم تنزوج الى الآن فاجابته : « لاني لم ابليخ الخامسة والعشرين من العمر وارى ان زواج الفتاة قبل هذه السن خطأ وتسرع مضر لانها تكون غير ناضجة في اميالا وذوقها جاهلة نفسها وواجبات الزوجية وانما يعوزها ادراك ذلك كله قبل الزواج لتستطيع حسن القيام بما يفرضه عليها بيتها والمجتمع الانساني . والفرد منا في عصرنا الحاضر لا مناص له من التفكير في علاقته بالجماعة غير مقتصرة على الاهتمام بامر نفسه ولو كنا كاسلافنا الاقدمين نقطن الغابات

والحراج لصح لنا الزواج ونحن صغار في السادسة عشرة او الثامنة عشرة من العمر»
ولما وصل هذا الجواب الى جريدة الدالي مايل فتحت للسيدات باب المناقشة في موضوعه
فكثبت اليها المؤلفات الروائية السيدة ستاترما يأتي معارضة رأي الكاتبة الاولى قالت « ان
الناس كلهم مندوبون للزواج من قبل الطبيعة فاذا لم يتزوج الواحد منهم كان مخطئاً او عاجزاً
ولما كان الزواج محنوماً علينا كان الاسراع فيه خيراً من تأخيرهم واضاعة الوقت سدى»
وكثبت سيدة اخرى ما يأتي :

« التأخر في الزواج اضمن لهذه المعيشة البيشية من الاسراع فيه وان كان الزواج الباكر
حسناً في ظاهره عذباً موقعه من النفس في اول الامر فله مقابل ذلك مخاطر لا تحصى فقد تحب
الفئة وهي في الثامنة عشرة رجلاً فاذا بلغت الخامسة والعشرين انقلب حبها احقاراً . وبناء
على ذلك ارى للفئة ان لا تقدم على الزواج الا وهي في الثلاثين اذ تكون قد عرفت شؤون
الحياة والدنيا كما هي لا كما يصورها لها الوهم فلا يفوتها ان زوجها مثل غيره رجل لا ملاك وان
له حسنات وسيئات وان الطبيعة البشرية بعيدة عن الكمال
« واما الرجل فارى ان يكون اكبر من زوجته بخمس سنوات فيقدم على الزواج وهو في
الخامسة والثلاثين »

وكثبت اخرى وهي عزباء :

« ارى الزواج الباكر خيراً من التأخر لان الرجل كلما تقدم في السن تمكنت من نفسه عادة
التقذ بطول الاخبار فلا ينظر الى زوجته بالعين التي نتمناها واما الفتيان الذين هم في عنفوان
الصبا فلا تكون لهم خصلة التقذ والتحجيص هذه بل ينظرون الى الامور من وجوها المشرقة
المنيرة ويغتفرون معائب الزوجة وربما حسبوا عيوبها محاسن فيتبادل الزوجان الحب الشديد
ويكونان تبساً في فم الحياة »

هذا ما قالته هذه الفئة الانكليزية واحسن رد عليه واوجزه قول الشاعر العربي :

وان قليل الحب بالعقل صالح وان كثير الحب بالجهل فاسد

وكثبت مؤلفة كتاب « الزواج الحديث » ما يأتي :

« لا ينكر ان اقتران الفتيان والفتيات الذين في ريعان الشباب كأن يكون الزوج في
العشرين والزوجة في الثامنة عشرة من اجل المظاهر وادعائها الى انشراح صدر الناظر ولكنه
مظهر خادع وجمال غرار لاننا اذا التفتنا رأينا معظم الذين يتزوجون في هذا السن بعيدين عن
الهناء والرجد في معيشتهم لا يعرفون كيف يدبرون شؤونهم ولا كيف يتفاهمون ولا اي

الاصدقاء والصديقات يجب ان يخفوا معاشرتهم وكيف لا يكونون كذلك والفتاة تثقل
اميالها ثلاث مرات او اربعا بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين وتثقل اميال الشاب
اكثر منها في المدة المذكورة

«ثم ان الشاب الغض الصبي يكون طائشاً خفيفاً مهجراً مكباً على الملاهي والملاذات شديد
الحب لنفسه بعيداً عن نير الزواج وانما يعتاد احتماله تدريجاً على تقديمه في السن
«ولا أرى للفتاة تقييد نفسها بالزواج الا بعد ان تختبر شيئاً من احوال الحياة وشؤون
الرجال ولعل اصح سن لزواجها سن الخامسة والعشرين ولزواج الرجل سن الثلاثين
«وكيفما كان الحال فاني احذر الشبان والشابات من الاندفاع في تيار اول حب يتسلط
على افئدتهم فلا يطيعوه طاعة عمياء ساعين الى التزوج بمن يحبون لانه قلما يكون الحب
الاول الا عن طيش واغترار فلا يصح التعويل عليه»

وكثبت سيدات أخرى انكليزيات رأياً من احسن ما جاء في هذا الباب ومحصلة ان
العمر لا يصح حسابه مقياساً ثابتاً بل يجب اعتماد المدارك مقياساً فقد تكون ابنة الثانية
عشرة انضج نفساً واصح ادراكاً وارصن طبعاً من ابنة الثامنة والعشرين وما يقال في الفتيات
من هذا القبيل يقال في الشبان ايضاً
ادوار مرقص

اعناء المرأة بمنظرها

كثبت جريدة ولدن النسائية النصائح التالية للنساء اللواتي جزن سن الشباب ودخلن
سن الكهولة قالت مخاطبة المرأة التي من هذا القبيل

ان كانت مشاغل البيت وهموم الحياة قد جعلتك تهملين منظركِ فسلمت للاقدار ولم
تعودي تهتمين كيف تظهرين للذين يرونك فاعلمي ان المرأة تسر دائماً بان لا تظهر عليها
امارات الكبر والاهمال لا في قامتها ولا في وجهها ولا في ثيابها. واعناء المرأة بنفسها ليس
من قبيل التباهي والعجب الباطل كلا بل هي مضطرة اليه لكي تسر زوجها واولادها فانهم
يجبون ان يروها على احسن ما تكون وهذا لا يكلفها من الاهتمام الا دقائق قليلة كل يوم
فمليك ان تغتسلي يومياً اذا استطعت ذلك وان تكثري من استعمال الفرشاة لشعرك
وان تستريحي بعد الغداء ولوربع ساعة استلقي فيها على ظهرك واغمضي عينك وتزهي افكارك
عن كل المشاغل والمهم ولو لم تنامي

واخرجي الى الهواء النقي كل يوم فان الهواء والشمس لازمان لصحة الاجسام وانتعاش

الابدان لزومهما للازهار والرياحين واذا كنت تكثرين المشي في البيت فلا داعي للمشى الكثير خارجاً لان زيادة تعب الجسم لا تفيد ولكن اذا كنت قليلة المشي في البيت فعوضى عنه بالمشي خارجاً في نور الشمس والهواء المطلق
واذا ظهرت الغضون حول مخريك وعينيك فافضل الطرق لازالتها فرك الجلد هناك بمادة مغذية مثل قشدة اللبن فركاً لطيفاً بالثاني
والاكثار من شرب الماء نافع لانه ينظف الامعاء والجسم . ونظافة باطن الجسم ضرورية كتنظافة ظاهره

والرياضة الجسدية ضرورية لقليلات الاشغال البيتية ولكن المرأة التي تتحرك كثيراً في بيتها لا حاجة بها الى الرياضة بل هي محتاجة الى الراحة
واذا خفت من ان تسمني كثيراً فلا اسهل من مقاومة السمن بتقليل الاكل ولا سيما المأكلات الدهنية والنشوية والسكرية وتكثير الرياضة . وامضى طعامك جيداً

اعمال النساء

رأينا بالامس رجلاً وقف امام دكان بقال وطني فاشترى منه عنباً وتفاحاً وكان في الدكان رجل فوزن له ما اشتراه ووضع في سلة وغطاه واراد المشتري ان يدفع اليه الثمن فاشار له الى امرأة جالسة امام باب الدكان ليدفع الثمن اليها وهي وطنية ايضاً فاستلمت منه الثمن وردت له ما بقي له لانه سلمها ريالاً والثمن اقل من ذلك وهذا المنظر نادر في بلادنا لان النساء قلما يتعاطين الاعمال واذا تعاطينها لا تكون الرئاسة لهن فيها ولكنه غير نادر في اوربا وقد زاد شيوعاً في هذه الايام وهو الذي قوى المرأة الاوربية ووسع مداركها ولعل نساء الفلاحين واهالي البنادر اللواتي يتعاطين الاعمال اقرب الى رجالهن في مداركهن من نساء المدن اللواتي لا يتعاطين عملاً بل يكتفين باللبس والزينة

وقد تعددت اعمال النساء في اوربا فهن يتعاطين الاعمال الحسائية ومسك الدفاتر في الدكاكين والمخازن والمعامل والمحلات التجارية وتجديد الكتب والرسم والتصوير والتطبيب والصيدلة وخياطة الثياب ونظم الازهار وتزيين البيوت وزرع الجنائن وحفظ الكتب وتمريض المرضى والتصوير الشمسي وعمل البرانيط والتعليم عدا الاعمال الكثيرة التي يعملها النساء عندنا كغسل الثياب وطبخ الطعام والغزل والنسج ولا يكتفين بعمل هذه الاعمال في بيوتهن بل يعملنها للغير لاجل التعيش

فهل الاصلح للامة كلها ان يحصل نساؤها معيشتهم بعمالهم كالرجال او الاصلح لها ان ينقطع نساؤها لتدبير بيوتهم وتربية اولادهم . هذه مسألة من المسائل التي كثر فيها الاخذ والعطاء ولا يزال مجال القول فيها واسعاً

لزوم ايام البطالة

ما يجب عمله فيها وما هي منافعها

لا شيء اشرح للصدر وابهج للنفس من الراحة بعد العناء . فالراحة من لوازم الحياة . لا جرم ان لكل عمل قسطاً من العطلة ولكل حركة نصيباً من السكون . فالآلات الميكانيكية التي لا يفتر عن تشغيلها اقرب الى التلف من امثالها التي تراح ولو يوماً في الاسبوع هذا شأن بني الانسان فان الراحة لازمة لهم بعدما يجهدون العقل او الجسم في اشغالهم واعمالهم اليومية والآن ما استطاعوا القيام باعمال عظيمة الشأن فاطلب الراحة بعد العمل الطويل الشاق كلما وجدت اليها سبيلاً . لانك اذا واصلت جهادك عراك الوهن والكسل ولم تقوَ على اتمام عمل

ان الفتيات اللواتي يرغبن في ان يكنّ صحبات الاجسام والعقول محترمت في الهيئة الاجتماعية نافعات لبني البشر طويلاً الاعمار المسرّة تملأ صدورهنّ تلزمهنّ الراحة والنزهة بل يجب عليهنّ ان يتعلمن كيف يوفرن قواهن ويحافظن عليها ايام البطالة . فاذا كانت الغاية التي تنوخواها من الراحة ان تعود الى اعمالنا بهمة ماضية وجأش رابط كان علينا ان نفكر في ما يجب عمله في اثنائها وفي ما لا يجب . فما يجب هو ان تأكل في اوقات لا نعددها بين الغياض والرياض حيث يخاطر النسيم اذا كان ذلك ممكناً ونستحم ولكن لا نمكث في الماء الا قليلاً ونرتدي ملابس غاية في البساطة ولكنها ملائمة للذوق السليم . وليكن طعامنا ناضجاً ومغذياً ولنستشق الهواء النقي جهد طاقتنا ولنم في حجرة قليلة الاثاث بعدما نفتح كواها او كوة واحدة على الاقل وما لا يجب علينا هو ما يخالف هذا

ولربّ معترض قال انني نأيت عن يياني وتعديته الى علم حفظ الصحة . نعم ان الصحة هي الخلّ الوفي الذي يرتبط بسعة ادتنا فلنوثق عرى صداقتنا معه ولا سيما ايام الصبوة والآن كانت حياتنا عذاباً وآلاماً وبئس الحصاد

روت كاتبة يشار اليها بالبنان لما كتبت في التربية والاخلاق انها اذا لم تعن بصحتها ولو بضعة ايام صارت هدفاً لسهام التجارب لان النفس من ممتات الجسم فاذا كان الجسم غليلاً

كانت النفس مكتئبة ذليلة . فالنفس سرُّ أو جوهر من جواهر الحياة اللوم يتعبها والهم يقبضها
ألا يكفيننا ان الحياة آتعب وآلام فلماذا تزيد الطين بلة

•••

الصحة اعظم اركان السعادة فلنحافظ على ما نملكه منها ونحرص عليه حرص البخيل على
درهمه . ولكن حكماً بعيدي النظر فلا نقضي ليالي الراحة في المراقص والملاهي ولا نمشي
مسافة تنهك قوتنا ولا نلعب العاباً رياضية مدة طويلة والشمس في سمت الرأس . فما نحتاج
اليه ايام البطالة هواستنشاق ما في وسعنا من الهواء النقي وتناول الطعام الخفيف المغذي
وترويض اجسامنا ترويضاً كافياً لان يسرع الدورة الدموية فيها ويوهج وجوهنا . ولكن
العابنا سارة مبهجة وصديقاتنا وفيات يشاركننا في السراء والضراء ولنطالع كتباً نافعة ولا
نقتل الاوقات بقراءة القصص والروايات التي تفسد اخلاقنا وتشوه آدابنا . ان فعلنا ذلك
شعرنا بانشرح في صدورنا وتجديد في قوانا العقلية والجسدية فاذا عدنا الى مزاولة اعمالنا اليومية
لم يعترنا ملال ولا اصابنا كلال

* *

خير الصديقات في ايام البطالة صديقة طاب حديثها فكان فكاهاه جنية تفرج الكرب
ونسري الحزن فتحول البكاء الى ضحك والكآبة الى مسرة . يظن البعض وبعض الظن انهم
ان هذه الصفات غير محمودة في البنات ألا انهم لفي ضلال . اذ اجمل خصال تزين الفتاة ثلاث
رفعة حديث وصفاء قلب وصدق ولاء فالاولى تبعدها عن الاغنياب والثانية تجعلها كالبلور
نقاوة وصفاء في اقوالها وافكارها والثالثة تكثر لها من الصديقات . هذه خصال اذا مزجت معاً
كان طبع الفتاة سبيكة من ذهب وكل فتاة تستطيع التخلق بها

اذا دخلت المجتمعات فاغتنم الفرصة لتكون مخلوقات «مخلوقات» مبهجات يطفح السرور
عليكن . وليكن هذا السرور خلقاً فيكن لا تستطعن خالعه وابداله كما تحلغن الملابس
وتبدلن الازياء

قالت عالمة اميركية محترمة الرأي من العلماء . يجب علينا ان نربي فينا ميلاً الى الهزل
والجون وان ندرك تماماً ان النكات اللطيفة خير ما يجب علينا التدرع به ولكن في موضعه . على
ان العقبة الكؤود التي تحول دون الكثيرات منا هي انهن طبعن على التعمق في الافكار والميل
الشديد الى الرزانة حتى انه ليعسر شرح صدورهن . فقد يسرنني ويضحكنني ما تراه جارتي
نافهاً لا مبهج فيه . ومع ذلك فالتى تكون مفطورة على الجون كثيراً ما تستطيع ان تؤثر في

اشد الناس رصانة . فما اسعد البيت الذي يضم فتاة او فتاتين تفكهان سائر الذين فيه بركة
حديثهما وفكاهته

نقول فتاة وما الذي افعله لا كون لطيفة المحضر حسنة المعشر فاوصيها بما يلي
اذا سمعت فكاهة او نكتة مستطرفة فعيها وقصيها على آخرين بأسلوب بهجهم . واذا
خرجت لزيارة او زهرة فكوني آذانا واعية وعيوناً ناظرة . راقبي الحوادث واحكيها لاهل
بيتك ولا تأخذ منك الخيلاء والصلف فتكوني محبة لذاتك تكتمي الامور الحسنة في صدرك
وتبخلي بها على غيرك

* *

ذكرت ما تيسر لي مما يجب عمله في ايام البطالة لانه سهل المأخذ قريب التناول
اذا لم يستطع احد السفر من قارة الى قارة او من بلاد الى بلاد لم يصعب عليه ان يؤم
الخمائل الغناء او ساحل البحر في بلاده . ففي كل بلاد مناظر طبيعية يبسم لنا وجهها ونسمع
خرير مائها ونستنشق بلبل هوائها . هذه الطبيعة لها ملابس ترتديها وحلى مبهجة تظهر فيها
ولما كان بحثنا في صغائر الامور يوصلنا الى كبارها وجب علينا ان ندرس صغائر عجائب
الطبيعة التي نراها في كل مكان وزمان . والا لم تفتح لنا صدرها ولا اطلعنا على اسرارها .
فاقصدي ايها الفتاة تلك المناظر كأنك احدي بنات الطبيعة تحنين اليها حنين الابنة الى
امها . ولا تكتفي بالذهب والاياب على شاطئ البحر مثلاً . او بالشخوص الى الجبال والوديان
وانت جامدة لا تفكرين في شيء . فليس هذا كل القصد من الزهرة الحقيقية . نعم انك
تتفعين بنقاوة الهواء واشعة الشمس ولكن ينقصك امر مهم جداً . ينقصك ان تقرأي
اسرار الطبيعة فهي لا تحادثك وانت مصغية الى انغام توقع على ذوات الاوتار او الى جلبة
قوم اشند بينهم الحجاج واللجاج . وانما تحادثك متى كنت منعزلة منفردة فتبوح لك باسرارها
ولا تكتم عنك مخبأتها

* *

ان لون ثوبك ونقوشه التي تزينها بمنظر مكبر وانت على شاطئ البحر لا تعد شيئاً
مذكوراً في جانب الوان ماء البحر الذي لا تدركين له آخرأ فهل خطر في بالك ان تضفي
لذلك الالوان اسماء او تري لها نظائر واشباهاً . فبماذا شبهتها بألفضة ام بالجمشت ام بالوان
القمري ام بالزمرد ام بالورد ام بالزيتون ام باللازورد . كل هذه الالوان تتلاعب على وجه
ذلك الماء وتمتزج بعضها ببعض فتملأ الصدر مسرة واشراحاً هل تأملت امواج البحر
في يوم عاصف وهي مقبلة الى الشاطئ مشابقة متسارعة حتى اذا وصلت اليه تكسرت على

الصخور المحاذية للشاطئ وقبلما تنتثر ترتفع هالة من الزبد يروق العين منظرها . أَرَأَيْتَ هذه
الأمواج المرغية وجداً المزبدة حقداً نثب على الصخور كأنها أفراس البحر والزبد الأبيض
يطوق عنقها . انك اذا انعمت النظر في ذلك طويلاً مرات عديدة ادركت فوراً لماذا كان
اليونان القدماء يسمون ذلك الزبد خليلي نبثون إله البحر

.

اذا ولعت بالطبيعة لم تبقَ همتك فائرة وانية لانك ترين نفسك في اضطرار الى الوقوف
على اسرارها فلا تنظرين اليها حينئذٍ نظراً عادياً بل تشدين مع شاعرنا العربي
فقل لمن يدعي بالعلم فلسفةً علمت شيئاً وغابت عنك اشياء
تلك المناظر تنسيك ضوضاء المدن ومتاعب الحياة فما اجمل وانفع التمتع بها في ايام البطالة

.

اذا قصدت البحر لتسيري على شاطئه وتشاهدي قاصديه فقط فانت لم تعرفيه ولا مرحت
ناظريك على سطحه الفسيح ولا اصغيت الى انغامه المختلفة الحانها فهو عروس الطبيعة بلا
منازع بل هو اجمل من كليوباترا . تمرُّ به الاجيال والاحقاب ولا تقوى على تشويهه او تغيير
الوان مائه او تنويع هيئاته وصفاته . ومهما ترددت عليه لا تستطيعين ان تدركي النزر
اليسير جدّاً من اسرارهِ ولكنك مع ذلك تنسرحين صدرّاً ونقرين عيناً وتطيبين نفساً

.

اذا لم يكن في وسعك قضاء ايام البطالة في السواحل البحرية فان الطبيعة تنتظرك فوق
الجبال والتلال وفي المهاد وعلى الانهار وتحت باسق الاشجار
ففي كل حين تنقل حواسك الخمس الى العقل والنفس اموراً تهيجها . الصباح يسرك
بنضارة النبات واريح الازهار ويريك الندى عليها كأنه درر متناثرة . في تلك الفترة ترسل
الشمس اشعتها الذهبية الى الارض فتعشك كأنها اكسير الحياة . والظهر ينيلك امنيتك من
نعم الارض وخيراتها . والعصر يعيد اليك قوتك بلطف هوائه ثم تميل الشمس الى المغرب
فتنقصد الطيور او كارها اسراباً اسراباً مقردة تغريداً منعشاً فتشعرين حينئذٍ ان هذه الدنيا
دار سعادة وصفاء وان ايام البطالة احلاها واهناها

.

استقبلي الصباح فوق الجبال واطيلي تأملك في المروج الخضراء والاشجار الغبراء تري
بساط سندس برقشته يد الطبيعة بالوان لا تحصى ولا تحصر . ولا يستطيع ملك مهما بلغ

ترفه وعظم شأنه وضخم سلطانه ان يكون له في قصره مثل لما فانت على قنن الجبال ابهج منه في قصره خاطراً واسعد حالاً

سيري في الغابات ومثعي نظرك في اشجارها الكثيفة الملتفة على اشكال مخروطية كأنها اعمدة هياكل فتشعري بالتعبد والخشوع فهل هذا الشعور وراثته عن اجدادنا القدماء او هو امر فطري فينا يجعلنا نميل الى العبادة والسجود حيث نكون في اماكن تشبه الهياكل على ان هذا يرفع نفوسنا ولا شك الى خالق هذه الطبيعة ومبدعها العظيم

..

كما توغلت في الحقول والحراج ادركت السر الذي جعل القدماء يدخلون على قصصهم الخرافية اخبار آلهة الماء وافعال الجن والفيلان وهذا من اسرار الطبيعة . ان في اصغر النباتات او الازهار اسراراً وقد امتازت الطبيعة بامر هو انك كلما حدثت النظر اليها وانعمت الفكر فيها او نظرت اليها بالمنظار ظهر لك الاحكام والاثقان فيها

لا اقصد بما نقدم ان اضطررك الى درس علم النبات وانما اريد ان احضك على فحص الازهار والنباتات التي تربيتها ايام البطالة وتسألني البعض عنها فلا تبقي جاهلة امرها هكذا يجب ان تقضي ايام البطالة حيث الطبيعة تبسم والسعادة تدرك

عربتها عن اللغة الانكليزية

اسما جبرائيل منصور

بالتقريظ والانتقاد

امة الملايو

هو بحث علي في امة شرقية اسلامية وضعه حضرة صالح افندي جودت احد موظفي نظارة الحقاينة واهداه الى الامير تنكو منصور نجل السلطان عبدالحميد حليم شاه راجا قدح وقدح هدم احدي ولايات ملقاً التابعة لمملكة سيام . والذي يقرأ لقب صاحبها يظنها من الممالك الكبيرة ولكن يقال في هذا الكتاب ان عدد سكانها ٧٢ الف نفس اي عشر اهل القاهرة فهي مثل قسم من اقسام عاصمتنا في عدد السكان او مثل مركز من مراكز المديرية

المصرية ومساحتها كلها لا تزيد على ٢٠ ألف كيلومتر وسكان عاصمتها عشرة آلاف نفس فهي مثل اصغر بندر من بنادر القطر المصري

لكن الكتاب ليس مقصوداً على تلك البلاد بل يشكلم على امة الملايو او الجنس الملقى الذي يسكنها ويسكن غيرها من البلاد المجاورة لها وهو جنس محدود بين اجناس البشر . وقد اسهب المؤلف في الكلام عن هذا الجنس فذكر تاريخه ووصف لغته وقال ان بعضهم يكتبها بالحروف العربية ومن الغريب ان ليس فيها لافاء ولا قاف ولا كاف ولا لام وهم ينطقون بالراء غيناً وعيناً . ويكتبون اعدادهم بارقام عربية . وقال ان ملوك قدح يدعون انهم من نسل احد قواد الاسكندر المكذوف

والكلام على امة الملايو بالذات مختصر لا يتجاوز عشرين صفحة وهو مشحون بال نوادر والحوادث التاريخية ومما قاله في وصفهم انهم قصار القامة قلما يتجاوز قامته الرجل منهم متراً وستين سنتيمتراً وهم اقوياء البنية اصابعهم طويلة دقيقة وارجلهم ثقيلة في السير قوية عليه وجماجهم كروية منبسطة من الخلف وشعور رؤوسهم غزيرة الا ان الشعر يقل في اجسامهم ولحم ولون بشرتهم بين السمرة والصفرة ووجيهم مربع وعيونهم افقية عادة الا في بعض قبائلهم فانها قريبة الشبه بالمنغول اذ ترى فتحات عيونهم مرفوعة نحو الاصداع بانحراف ووجناتهم نامية العظام بارزتها وانوفهم قصيرة ولكن فتحاتها واسعة وفهم واسع ايضاً وشفاههم غليظة واسنانهم ذات جمال بديع لولا انهم يسودونها لان سواد الاسنان جمالها عندهم وثدي نساءهم صغيرة وليس لقوامهن جمال قوام الهنديات . وملابس رجالهم عادة سروال قصير ومحزمة تدعى في لغتهم سارنغ تستر نصفهم الاسفل وعمامة او قبعة من القش ويلبسون احياناً في اقدامهم احذية

« ونساءهم يلبسن في خصورهن سارنغ (تكون من الحرير الملون عند ذوات الثروة وهي اشبه بالجزء السفلي من الحبرة) ثم يضعن مثلها على رؤوسهن فتسترها الى الجبهة . ويرفعن المئزر على ذراعيهن الى محاذاة الوجنتين ويمسكن طرفيه بيديهن فيشدنه بحيث تستر حافته وجههن فلا ترى منه الا العينين فهن في ذلك المئزر اشبه ببعض قرويات مصر ونساء الملايو يتخلبن عادة بكثير من الحللى كالخواتم والاساور والاقراط والقلائد الخ

« ومن عادة الملايو نساء ورجالاً مضغ البتل واسمه « سيره » بلقتهن (وهو نبات يشبه شجرة شجر الفلفل وتمضغ اوراقه ولها مفعول صحي قابض) ويمضغون ايضاً جوز الارك

« بيننغ » (وهو تمر النخل الهندي) لتسود اسنانهم ثم هم يطاون اسنانهم زيادة على ذلك بطلاء اسود لماع

« اما منازلهم فهي عادة من الخشب مربعة الشكل ومقامة على اوتاد من غاب الجبوا بحيث تصير مرتفعة عن الارض فتقيم تحتيها ماشيتهم وهم يسكنون فيها ومنازلهم مكسوة بسعف النخل « اتب » ويصعد اليها بسلم واذا اوقدوا النار اوقدوها خارج المسكن خشية الحريق والفقراء منهم يقيمون في زوارق صغيرة فوق الماء ويستظلون فيها بحصير يقيمهم الشمس او المطر . وتجد قراهم محاطة بسياج او سور من الطين وفي وسطها ميدان للاجتماع « ومن ملاهيهم المراهنة بلعب الورق والزهر والشطرنج ومضاربة الديكة ثم الصيد والمقارعة بالسلاح

« ومن اسلحتهم السيف « كليونغ » والخنجر « كريس » والمقلع والسهم المسمومة والسباطانة (وهي انبوبة طويلة توضع بها كلل صغيرة من الطين الجاف او غيره وينفخ فيها فتصيب الطيور الصغيرة في الصيد) وقد شاع عندهم الآن استعمال البندقية فابطلوا استعمال تلك الاسلحة القديمة . وكان نقرصانهم مراكب « براو » مسلحة بمدافع طويلة طالما ازعجت ذلك الارخبيل بغزواتهم حتى ارسل الله لها الهولنديين فكسروا من شكيتهما

« وامة الملايو ذات صفات غريزية فاضلة فلرجلها ذكاء متوقد وحماس غريب وهم عزيزو النفس يترفعون عن الذل اولو شجاعة قد تقودهم الى حتفهم ولكنهم مع ذلك كثيرو الحذر في المعاملات وقد زعم بعضهم ان الملايو قساة القلوب خونة ولكن معاشرهم لا يلبث ان يعترف بما لهم من كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والصدق في القول وحفظ العهود ولم في هاتين الصفتين الاخيرتين شهرة صادقة

« والملايو قوم معروفون بالملاحة والتجارة ومنهم يتخذ الاوربيون رجال بحريتهم في تلك الاقطار . وقد قال عنهم بعض عارفهم « ان الملايو من الامم التي تعيش متكلة على غيرها وترزق من خدمة الامم الاخرى دون ان تسعى الى ترقية نفسها بذاتها »

« والملايو يحفرون الزراعة ولذلك يعهدون بزراعة حقولهم الى العبيد . والعبد عندهم اما اسير حرب او سجين دين

« ومن زراعاتهم الشائمة الارز والبطاطة والبن والقصب وهم يتغذون منها ومن السمك ولا يأكلون اللحوم عادة الا في المواسم والاحتفالات

«والملايو استعداد فطري للصناعة ومن أشهر صنائعهم الحياكة والدباغة والتجارة وعمل الاسلحة والصياغة

«وهم قبائل متعددة يخضع بعضها لدول اجنبية وبعضها لامراء وطنيين . والنظمات السياسية لاماراتهم المستقلة نظمات ارسثوقراطية أي ان الامر فيها للامراء لا للامة فهي استبدادية . وعادة تكون تحت امر الحاكم عندهم (ويدعونه راجا او ماها راجا او جندي) «ولم تزل عند الملايو عوائد حفظوها عن آبائهم او من خالطهم من الاجانب كالهنود والعرب وقد احترمت الممالك المستعمرة هذه العوائد ومنها امكان اقتداء القثيل بالمال بدل اعدام القاتل . وحق من اھين في دعوة خصمه الى البراز . والرجل منهم يشتري المرأة وله عليها حق مطلق . والفقير غير القادر على ثمنها يشتغل الى أجل مسمى عند اهل العروس ويكون عمله لهم مهراً . ويقدم اولاد الاخت عندهم في الميراث عن اولاد الاب

«وقد كانت الديانة الشائعة بين الملايو هي الوثنية حتى القرن الثالث عشر فقدم اليها تجار من مسلمي الفرس نقلوا اليها آداب العرب وديانتهم . وكان قدوم هؤلاء التجار في البدء الى ملقا فاعتنق اهلها الاسلام . ومن الحق في التاريخ ان هؤلاء التجار انتقلوا الى سومطرة حيث كانوا بها في عصر ماركو بولو الرحالة الشهير . وقد زاد نفوذهم في تلك الجزيرة في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ليلاد حتى حملوا حكام تلك البلاد على اعتناق الديانة الاسلامية . واخذ الاسلام من ذلك الحين ينتشر بينهم ويؤلف بين قلوبهم بالحنس والمعروف

وقد رجح المؤلف ان اصل الملايو من اواسط جزيرة سومطرة وحبذا لو ذكر الادلة التي ترجح ذلك

ووصف املاك هولندا في تلك الجهات لان سكانها من امة الملايو . وقال «ان السائح اليوم في المستعمرات الهولندية ببلاد الملايو يندش من حسن نظامها ويفتن بجمال مزارعها ولكن يحزن لحالة اهلها . يسير مثلاً في حقول القصب (قصب السكر) فيجد امماً تغلح ارضاً لا تملكها وترونها بعرق جبينها لتنتج منها رزقاً وخيراً لغيرها قد يربو على عشرات الملايين من الفرنكات في العام . يجد امماً قد انطمست بصيرتها فهي تظن ان الارض ليست لها وان من الواجب عليها ان تشقى لغيرها امماً عدمت العز فظنت المذلة من واجباتها الاجتماعية ورأت الترفع عنها امرأ فرياً . ويقول لنا الاوربيون بعد ذلك انهم يطاردون الرق في العالم . وما تلك الحالة الا نتيجة الجهل الذي ابقت هولندا تلك الامم عليه ولم تشأ ان تكشف عنهم

ظلماته فكانت سياستها في ذلك سياسة استبدادية ظالمة سياسة استعباد وحب ذات وعدم احترام الجنس الانسان»

واسهب المؤلف في هذا الموضوع على هذا النسق ولا بدّ من انه ناقل لانه لم يقل انه طاف في تلك البلاد واطلع على احوال اهلها وقد يكون ما قاله صحيحاً كله او دون الصحيح ولكن ترى هل كانت حال اولئك الناس اصلح قبلما اخضعتهم هولندا وهل حال اليايين والحجازيين في اليمن والحجاز وسلطانهم امير المؤمنين اصلح من حال الملايو في جاوى . وهل حال السكان في العراق وبر الاناضول وبلاد ايران والمغرب الاقصى اصلح من حال الملايو الخاضعين لهولندا . وهل كان حال السكان في القطر المصري منذ اربعين سنة اصلح من حال الملايو الآن . وهل حال السكان في قدح وهي غير خاضعة لهولندا اصلح من حال السكان في جاوى . وهل والي اليمن او والي الحجاز احسن فيهما من راجا ولاية من ولايات جاوى او غيرها من املاك هولندا «

هذا ومن المحقق ان الحكومة الهولندية انفتحت على تعليم الوطنيين في جاوى ومدور سنة ١٩٠٦ نحو ١٩٠ الف جنينه وكان عندها للوطنيين ٣٢٣ مدرسة فيها ٧٤٩٨٤ تلميذاً من اولادهم ٤٤٦ مدرسة اهلية لهم فيها ٥٠٣٤٤ تلميذاً وعدا المدارس الخاصة باولاد الرؤساء الوطنيين وعدا المدارس العالية وهي خمسة لتخريج المعلمين وفيها ٣٠٠ تلميذ . وقد اسهب المؤلف في ذكر جزائر فيليبين ولم يمدح الاميركيين بكلمة على ما فعلوه فيها من افعال الكرام وما انفقوه فيها من الاموال الطائلة فان اميركا تنفق على التعليم وحده في جزائر فيليبين ٥٥٠ الف جنينه في السنة فلماذا لم تستحق كلمة مدح وهذا لا يمنع حث الاوربيين وغيرهم من امم اوربا على الفرق بغيرهم من الامم الخاضعة لهم ومعاملتهم كاخوة لهم في البشرية كما انه لا يمنع وجوب السعي في ترقية الامم الشرقية حتى تنال كل حقوقها الطبيعية وقد امهنا في انتقاد هذا الكتاب لزيادة الاعناء به ولاننا نود من كتابنا الكرام ان ينصفوا غيرهم لان من لم ينصف لم ينصف

شرح نهج البلاغة

أهدت الينا مطبعة دار الكتب العربية الكبرى المجلد الاول من شرح نهج البلاغة لابي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعروف بابن ابي الحديد وهو كتاب حافل بالفوائد العلمية والتاريخية والادبية وفي المجلد الذي صدر منه خمس مئة صفحة كبيرة مطبوعة بحرف

دقيق خلا المتن فانه مطبوع بحرف كبير ومضبوط بالشكل الكامل . ومما يعاب به طبعه ان الشرح متماسك كله لا فاصل فيه يرتاح النظر اليه الا حيث يدخل المتن وحيث يرد شاهد شعري وكثيراً ما تجد اربع صفحات او خمس صفحات ولا فاصل فيها مع ان في الصفحة منها ٣٥ سطراً طويلاً وجذا لو اخنار طابعو لكتاب الفصل في الصفحة الواحدة حيث يحتمل الكلام ذلك تسهيلاً للطالعة وجذا ايضاً لو الحقوا الكتاب كله اخيراً بفهرس على حروف المعجم يستدل به على موضع كل حادثة او فائدة او نكتة مذكورة في الكتاب كما يفعل الافرنج حيناً يطبعون الكتب العربية . وقد وصفه طابعوه بما يأتي

« ان علم التاريخ خصوصاً تاريخ الصدر الاول من الخلفاء اهم شيء عند المحققين اذ به تعرف فلسفة التاريخ الموصلة الى معرفة ما يؤدي الى سقوط الدول وقيامها ومحاسن السياسة وردبها ولم تقف على كتاب جامع لثلك الاوصاف يتتبع مجاري الحقائق من غير اعنساب ككتاب فيلسوف زمانه هبة الله المشهور بابن ابي الحديد الذي شرح به نهج البلاغة للشريف الرضي من كلام امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومع هذا فقد جمع طرفاً واسعاً من الادب المثين من شعر المولدين والعرب والحكم ودقائق اللغة والكلام والفلسفة فيجد الاديب فيه بغيته والمتكلم والفيلسوف فيه نهيمته مع مشرب عذب وخطب ومقالات في سائر المواضع الانشائية والسياسية فلا غرو ان جاء الكتاب عشرين جزءاً كلها غرر وحوى من المحاسن ما لا يمكن حصره الا بالنظر وقد عزت نسخة بل كادت تكون في حكم المفقود فرأينا من الخدم الادبية والآداب الانسانية طبعه لتعميم نفعه فاستحضرنا جملة نسخ لتصحيحه وبدلنا غاية الوسع في تحسينه وتنقيح وضبطنا كلام امير المؤمنين بالشكل لتسهيل قراءته ونصفو مرآته وجعلناه في اربعة مجلدات كل مجلد يشتمل على خمسة اجزاء وقد نجز منه المجلد الاول المشتمل على ربع الكتاب فتقدماً للفوائد نعلن العموم ان كل من اراد ان يقتنيه فيطلبه من دار الكتب العربية الكبرى بشارع خان جعفر جوار سيدنا الحسين « لمصطفى البابي الحلبي واخوته » ويدفع ٧٠ قرشاً صاغاً ويستلم ربع الكتاب ورق بدون تجليد يأخذ وصلاً بالباقي حين تمام طبعه ومن كان خارج القاهرة فليرسل ٧٦ قرشاً صاغاً فيرسل اليه الجزء مجلداً بالبريد وفي خارج القطر واحداً وعشرين فرنكاً »

باب الطبائع والحيوانات

(١) مذهب دارون عند العرب

اليونان والرومان قبلهم

طرابلس الشام • محمد افندي صالح غنوم •
بينما كنت اطالع في كتاب نظام العالم للشيخ
الطنطاوي الجوهري وقع نظري على كلمات
بخصوص دارون صفحة ٣٩ قال فيها « ان ما
قاله دارون هو جزء مما قاله العرب فانه نظر
في ظاهري الطبيعة وصور الحيوان واشكاله
وقال بما قال وظن اشتقاق بعضها من بعض
ومن العجيب ان بحثه اقتصر على رابطة القرد
بالانسان اما بحث العرب فانه اوسع دائرة
واقوى مدركاً لانهم لم يروا القرد كافياً في
الارتباط لاختصاصه بالصورة والتقليد
واشركوا معه ذات الصوت الجميل كالبلابل
وغيرها • وقال ان بحثهم تناول كل موجود
من جماد ومعدن ونبات وحيوان وانسان اما
دارون فقد حصر بحثه في قوس من الدائرة
المسماة عندهم دائرة الوجود فهل هذا صحيح
نرجو من حضراتكم الجواب عليه

ج • كلا غير صحيح والظاهر ان قائله
لم يقرأ كتاباً من كتب دارون ولو قرأ فصلاً
واحداً من كتبه لما قال شيئاً من ذلك ولا
نظن ان العرب قالوا شيئاً في هذا الموضوع
لم نطلع عليه او زادوا شيئاً عما قاله فلاسفة

واذا اردتم ان تعرفوا الفرق بين ما فعله
هو لاء كلهم وما فعله دارون فقابلوا بين رجل
رأى خريطة الولايات المتحدة الاميركية منذ
ثلاثين او اربعين سنة وسكك الحديد آخذة
في الانتشار فيها فقال في نفسه ان هذه السكك
لا بد من ان تمر فوق الانهر فلا بد للانهر
من جسور (كباري) حديدية كبيرة مثينة
لحمل القطرات الكبيرة • فاذا أخذت مناجم
الحديد التي قربها مناجم نحم لاجل سبك
الحديد وصنعت معامل كبيرة لعمل جسور
الحديد فاني ارجح من ذلك رجحاً طائلاً وتصير
اموالي نقدراً بالمالين • وبين كارنجي الذي
قاده اشتغاله في سكة الحديد الى هذا
الفكر عينه فسعى في تحقيقه بكل جهده
وواظب على السعي سنين كثيرة فربح الاموال
الطائلة حتى صارت ثروته تقدر بخمسين
مليوناً من الليرات الانكليزية ودخله اليومي
باكثر من ثمانية الاف ليرة انكليزية وصاحبكم
المفكر الاول ليس عنده عشاء ليلة

أو لم نقرأ ما قاله العلامة وليس الذي
يعد قسماً لدارون في المذهب الداروني وقد
بحث في هذا الموضوع والف فيه مجلدات

ولم نجد بين الكتب التي وصلت اليها يدنا ما
ينفي ذلك وبيننا نحن في هذه الحيرة علما ان
الحكومة عزمت على تأليف تاريخ مدقق
للدولة العثمانية نقلنا لا بد من انها تستطيع
جمع ما لا تستطيع جمعه من المواد والتحقيقات
اللازمة لهذا التاريخ ورأينا ان من الحكمة
انتظار تاريخها لعلنا نجد فيه ما يوضح الحقائق
فيكون اعتمادنا عليه ايضا

(٢) دودة القطن وتاريخها

فراشة بالشرقية . شيخ العرب ابو هاشم
علي قريط . ما رأيكم في دودة القطن
واسباب نزولها هل هو ناشئ عن تأثير جوي
او عوارض ارضية ومنذ كم سنة ظهرت هذه
الآفة المضرّة في الوجه البحري وكيف انتقلت
الى الوجه القبلي

ج . ان دودة القطن وكل الديدان
تتولد من الفراش كل نوع منها يتولد من
الفراش الخاص به . والفراش ذكر وأنثى
فيتزاوج وتبيض فراشه دود القطن على ورق
القطن ويضعها صغير جدا كحبوب الرمل
ويخرج الدود الصغير من البيض ويكون
اسود اللون عند اول خروجه ويمتدّي من
الورق ويكبر رويدا رويدا الى ان يصير
طول الدودة منه خمسة سنتيمترات فيغور في
الارض ويصير زيزا والزيز يصير فراشا
فيطير ويتزاوج ويبيض ويدور الدور على
ما تقدم وفي انتهاء موسم القطن يشتو الزيز

كثيرة باننا ما كتبته على بحثه الطويل في
اماكن شتى وبلدان مختلفة فانه قضى اربع
سنوات في اميركا الجنوبية يبحث في حيواناتها
ونباتاتها وثماني سنوات في جزائر ملقا يبحث
في حيواناتها ونباتاتها وقاده بحثه الطويل الى
الحكم بان انواع المخلوقات متولدة كلها بعضها
من بعض بواسطة الانتخاب الطبيعي وهذان
الامر ان أي تولد انواع الحيوانات والنباتات
بعضها من بعض وحدث هذا التولد بواسطة
الانتخاب الطبيعي هما النتيجتان اللتان وصل
اليهما دارون بعد ابحاث طويلة وتجارب
كثيرة استغرقت عشرين سنة وشغلا مستمرا
فيها لكن ولس قال عن نفسه ان نسبة نصيبه
من هذا الاكتشاف او الاستنتاج الى نصيب
دارون كنسبة اسبوع الى عشرين سنة فما
قولكم في من يقول قولاً او يرتأي رأياً ولا
يؤيده بدليل نظري ولا عملي ثم ندعي انه
سبق العالمين العاملين الذين يقضون العمر
في البحث والتحقيق والامتحان الى ان يصلوا
الى النتيجة العلمية

(٢) تاريخ الدولة العثمانية

ومنه لماذا لم تكلوا تاريخ الدولة العثمانية
ج . لما شرعنا في كتابة هذه الخلاصة
من تاريخ الدولة العثمانية لم يخطر لنا اننا نجد
فيه اشياء يجب الاغضاء عنها فوقفنا وقفة
الحيرة بين الامانة للتاريخ والتأدب في ذكر
الاموات ولا سيما اذا كانوا عنوان عز الدولة

(٤) فعل انعكف

طرابلس الشام • مرشد افندي الياس
ابو كرم • لقد اكثر الشيخ ناصيف اليازجي
في مقاماته من استعمال كلمة انعكف • ويظهر
من مراجعة القاموس وغيره من كتب اللغة
ان وزن انفعّل لا يجي من مادة عكف فكيف
فرط منه ذلك

ج • لا تذكر اننا رأينا هذه اللفظة في
مقامات اليازجي واذا وردت فيها بمعنى عكف
اللازم فيكون ورودها تجوّزاً او تكون مستعملة
مطوعة لعكف المتعدي وياحبذا لو ارشدتونا
الى المقامات او الصفحات التي وردت فيها هذه
اللفظة

(٥) العقاب والنفس والصلاة

بغداد • هاربتون افندي موراديان •
هل يمكن اثبات العقاب الابدی ووجود
النفس وضرورة الصلاة من العلم الطبيعي
المنتشر في عصرنا هذا

ج • كلاً كما لا يمكننا ان نثبت منه
ان اسم كان مرفوع واسم ان منصوب لانه
لا ارتباط بين ما ذكرتم ومواضيع العلم الطبيعي
فلا يمكن الاثبات به ولا يمكن النفي ولكن لو
قلتم انه يراد بالصلاة ان يغير الله مجرى
الطبيعة فهل ذلك ممكن حسب مفاد العلوم
الطبيعية او غير ممكن لاجبنا ان الذين
يعترضون على فائدة الصلاة يقولون ان ذلك
غير ممكن لان الله وضع للكون نواميس لا

و يبقى مخفياً الى حين نمو القطن في العام
التالي وقد يظهر في زمن البرسيم وياكله
والذي بقي منه من سنة الى أخرى قليل جداً
لانه تغريه امراض وآفات تهلكه ولكن
البقية الباقية تولد الدود ثانية بكثرة اذا
ناسبها الاحوال الجوية

ونظن ان هذا الدود قديم في القطر
المصري وكان يأكل غير القطن من
المزروعات ولما انتشرت زراعة القطن فضله
على غيره لانه يكون نامياً في الوقت الذي
يسهل فيه نمو الحشرات ونقل ثقلات الهواء
ويظن البعض انه قبل الاهتمام بالري الصيفي
كان البرسيم يقطع ثلاث مرات فقط ويبس
ولكن لما توفر الري الصيفي صار البرسيم يروى
ايضاً فنبقى الزية منه عائشة الى زمن نمو القطن
فيعيش الدود عليها ويتناسل الى ان يكبر
القطن ويصير غذاء له • وقد كثر ظهور
دودة القطن اول مرة سنة ١٨٧٩ اي منذ
ثلاثين سنة وكان ذلك على اثر فيضان
١٨٧٨ الذي كان عالياً جداً وبقيت مياحه
عالية الى الصيف التالي فروت البرسيم وابتقت
دوده حياً الى ان كبر نبات القطن
فانتقل اليه

اما الانتقال من الوجه البحري الى الوجه
القبلي فسهل لانه يتم تدريجاً من البلاد
الواحدة الى التي تجاورها • والرياح تحمل
الفراس وتنقله مسافات طويلة

بعداها ولا يحيد عنها . ويسهل دفع هذا القول بأنه إذا كان امامك كتاب على مائدة فهو يبقى عليها ابدآ لأن ناموس الجاذبية يقتضي ذلك ولكن يسهل عليك ان تقول لابنك ارفع هذا الكتاب عن المائدة فيرفعه اي يستعمل قوة تبطل قوة الجاذبية او تغير فعلها فاذا كان الولد يستطيع ذلك فلماذا لا تستطيع القوة الخالقة التي هي مصدر كل القوى ان تبطل قوة او تغيرها اذا شاءت ذلك . بقي هل يسمع الله وهل يستجيب والجواب ان ذلك خارج من مدار العلم الطبيعي فلا يقدر ان يثبته ولا يقدر ان ينفيه ولكن ما لا يبحث فيه العلم تبحث فيه الفلسفة

(٦) العلم والشر

ومنه . اذا كان العلم ينقص الشر فهل يفتينا عن الدين

ج . ما هو العلم الذي تريدونه وما هو الشر وأي دين تعنون هل تعنون اليهودية او المسيحية او الاسلامية او البوذية او البرهمية او ماذا . وربما وجدتم ما تريدونه في ما يأتي : — اذا اريد بالخير ما ينفع الناس من الافعال التي يفعلونها وبالشر ما يضر الناس من الافعال التي يفعلونها فناموس بقاء الاصلح يقضي بزوال ما يضر الناس وريداً رويداً وبقاء ما ينفعهم لانه اذا فرضنا وجود قبيلتين متماثلتين في جزيرتين متماثلتين وقام

في القبيلة الواحدة اناس يسعون الى ضرر غيرهم من ابناء قبيلتهم وقام في القبيلة الثانية اناس يسعون الى نفع غيرهم من ابناء قبيلتهم ضعفت القبيلة الاولى وقويت الثانية واذا استمر ذلك تلاشت القبيلة الاولى وتلاشى الشر معها وتكاثرت الثانية وتكاثر الخير معها . ولا يمكث في الارض الا ما ينفع الناس ولذلك يستنجد الاكثرون ان مصير الناس الى الصلاح وهذا امر لازم عن ناموس بقاء الاصلح . ولكن لا شبهة في ان الاديان التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تفيد جدآ في الوصول الى هذه الغاية

(٧) تأخر الاطفال عن التكلم

بني سويف . كامل افندي فهمي . ما السبب في ان بعض الاطفال لا يتكلمون الا بعد مرور ثلاث سنوات او اربع من ميلادهم ثم ينطقون بكل صعوبة وربما يكون نطقهم غير فصيح

ج . الغالب ان ذلك يكون وراثياً وسببه ضعف في مركز النطق في الدماغ

(٨) علاج التأخر في التكلم

ومنه . ما هي الطريقة او الادوية الواجب استعمالها حتى يسهل على هؤلاء الاطفال التكلم عند بلوغهم السن المناسب ج . تمرينهم على التكلم بالتكلم معهم دائماً فانهم يصيرون يحاولون تقليد من يكلمهم

كيف تكون منه فائدة دوائية او يكون منه ضرر

(١٠) سكان البلاد العثمانية

مصر . امين افندي احمد . كم عدد سكان البلاد العثمانية وما هي نسبة الاتراك الى غيرهم من الاجناس

ج . يتكرر علينا هذا السؤال ولا يوجد احصاء عند الدولة حديث يمكن الاعتماد عليه ولا بدء من انها تهتم باحصاء شعبها قريباً . ويرجح الآن ان عدد السكان في املاكها باوربا سبعة ملايين وفي املاكها باسيا ١٧ مليوناً وفي طرابلس الغرب مليون والجملة ٢٥ مليوناً واذا اضيف القطر المصري فعدد السكان نحو ٣٧ مليوناً وعدد الاتراك في اوربا نحو مليونين وفي اسيا نحو سبعة ملايين والباقيون روم وعرب وارمن واكراد وغيرهم من العناصر المختلفة التي تتألف منها السلطنة العثمانية

(١١) المسلمون والمسيحيون في تركيا

ومنه . كم عدد المسلمين . وكم عدد المسيحيين في البلاد العثمانية

ج . عدد المسلمين في البلاد العثمانية عدا القطر المصري ١٥ مليوناً وعدد المسيحيين نحو ١٠ ملايين واما في القطر المصري فعدد المسلمين الآن اكثر من عشرة ملايين

وذلك بمثابة تمرين مركز النطق فيقوى لان الانتباه اليه يوجه اليه الدم فتزيد تغذيته ويقوى ويحسن ان يوضعوا مع اطفال يتكلمون جيداً فيحاولوا الاقتداء بهم

(٩) فوائد العقيق

خداوندكار . نديم افندي رئيس المحكمة الابتدائية . ورد في الاحاديث النبوية ان للعقيق خواص مفيدة وهذا ما لا ريب فيه ولكن هل العقيق الاحمر اكثر فائدة من غيره

ج . لم نجد هذا الحديث في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم ولا في مصابيح البغوي وقد يكون موجوداً فيها ولم نعثر عليه وسألنا عنه بعض حفاظ الحديث فقالوا انهم لا يذكرونه وقال واحد منهم لعله من الاحاديث الموضوعة . اما الباحثون في فوائد الجمادات فلم يذكروا للعقيق فائدة غير التحلي به لجمال لونه واستعماله فصوصاً للخواتم . واذا اردتم بالفائدة الفائدة الطبية فعلماء الطب لا يسلّمون بفائدة شيء لا يؤثر في الجسم تأثيراً فعلياً كأن يبرده كالماء البارد او يسخنه كالماء الحار او ينقطه كالحراريق او يدر اللعاب او يفرز الصفراء او يقتل الميكروبات التي في الدم او في المعدة والامعاء او نحو ذلك من الافعال العلاجية . ولا نرى للعقيق فعلاً من هذه الافعال فلا ندري

بالإنجليزية العلمية

الجيل الانكليزية قبل عهد التاريخ
 بينما كان الناقبون يتقنون في مكان
 يسمى « يشوبس ستورنفورد » ببلاد
 الانكليز عثروا على هيكل فرس في طبقة من
 التراب على عمق ست اقدام من سطح الارض
 واستخرج الدكتور ارفنج بعد اعمال النظر فيه
 انه هيكل فرس من الجيل البرية التي كانت
 في بلاد الانكليز في عصر البرونزي قبل
 عصر التاريخ . على ان الزمان الذي تكوّن
 فيه طبقة التراب التي وجد الهيكل فيها غير
 معلوم وما من دليل يدل العلماء عليه . وتبين
 من النظر في جمجمة هذه الفرس واسنانها
 وفوائها انها كانت تختلف عن كل ما
 اكتشف من بقايا الجيل البرية التي كانت
 تعيش في بلاد الانكليز في آخر مدة من مدد
 الدور الرباعي (المسماة عند الجيولوجيين
 بالبليستوشين) وانها تشبه صنفًا من الجيل
 كان يعيش في عصر البرونز لكنها اكبر
 منه جثة

هذا والمتفق عليه عند العلماء ان الجيل
 لم تدجن في بلاد الانكليز الا في اواخر

عصر البرونز او اوائل عصر الحديد وان
 الجيل الانكليزية كانت صغيرة الجثة لا
 يركبها الناس لصغرها وظلت كذلك حتى دخل
 قيصر بلاد الانكليز . ولكن اكتشاف هيكل
 الفرس الذي نحن بصدده يدل على خلاف
 ذلك فاذا ثبت ان هذا الفرس كان يعيش في
 عصر البرونز فلا بد من تغيير الرأي المتفق
 عليه والتسليم بوجود خيل كبيرة الجثة في بلاد
 الانكليز قبل عهد التاريخ

الارتفاع بالبلون

روت جريدة التيمس ان الملازم مينا
 والسنير ياشنزا ركبا بالون البتروس في
 ١٢ اغسطس (آب) الماضي وصعدا فيه من
 مدينة تورين حتى بلغا ارتفاع ٣٨٧١٥ قدمًا
 اي ٧٢٣ الميل وهناك فتح احدهما مصراع
 البالون فجعل يهبط بهما . واعظم ارتفاع بلغه
 الناس بالبلون قبل ذلك كان ٣٥٥٠٠ قدم
 فقط في ٣١ يوليو ١٩٠١ وهو اقل من هذا
 الارتفاع باكثر من ٣٢٠٠ قدم . وذلك يدل
 على الاعالي التي يمكن الناس ان يبلغوها بتحسين
 وسائل التنفس

زلزلة في اليابان

ورد على روتر من توكيو عاصمة اليابان ان اهالي اواسط اليابان شعروا بزلزلة شديدة في ١٩ اغسطس (آب) وانها دمرت كثيراً من مدينة ناجويا من مدائن اليابان التجارية .
ومما يستحق الذكر ان الزلزلة دمرت هذه المدينة كلها تقريباً سنة ١٨٩١

ماذا يجري في المريخ

يهتم الفلكيون اهتماماً عظيماً برصد المريخ في هذه الايام وقد اذاع مرصد كيال ان بعضهم كان يرصد المريخ في ١٢ اغسطس الساعة ٢ بعد الظهر فرأى نقطة لامعة تفصل عن الثلوج القطبية التي فيه وتغطي ارضاً منه في درجة ٣٢٠ من الطول . وروى راصد آخر انه رأى قطعاً مظلماً في الثلوج التي حول القطب الجنوبي من المريخ يومي ٢٠ و ٢٣ يونيو (حزيران) على درجة ١٩٠ من الطول وان هذا القطع ينتهي بنقطة مستديرة اشد منه سواداً . وكان الاستاذ لويل قد رأى شقاً في المريخ على درجة ٣٥٠ من الطول في المريخ ثم رأى غيره هذا الشق في ٤ يوليو (تموز) بنظارة كاسرة قطر ٢٧ سنتيمتراً وظهر له انه ممتد على طول الثلج كله وفي ذلك اليوم شاهدوا نقطة لامعة على حافة الثلج المظلمة على درجة ٣٠ من الطول في ذلك السيار

اكتشاف القطب الشمالي

فاجأتنا الشركات التلغرافية في اوائل سبتمبر (ايلول) باخبار الوصول الى القطب الشمالي . واول من وصل اليه رجل اسمه كوك يظهر انه اميركي وقد قصده في سنة ١٩٠٨ . ووفقى على قوله توفيقاً لم يوفقه رحالة قبله فتيسر له ما لم يتيسر لغيره فقد ارسل تلغرافاً الى جريدة النيويورك هرالد يقول فيه انه وصل الى القطب الشمالي بعدما قاسى ما لا يوصف من عذاب الجوع والبرد واكتشف برّاً تعيش فيه الوحوش الكبيرة التي يصطادها الاسكيمو وبرّاً آخر كثير الصخور والوعور . قال ومن حسن توفيقى اني وجدت صيادي الاسكيمو مجتمعين لصيد الدب ومعهم لحوم كثيرة ومئات من الكلام القوية الشديدة على بعد ٧٠٠ ميل من القطب فقط فتيسر لي بذلك ان استعين بهؤلاء الرجال المجربين وان اتأهب من هناك لرحلتي الى القطب وقد ساعدوني مساعدة لا ثمن باعدادهم الرسوم التي اتبعها وبجثهم عن السبل التي اشير انا ومن معي منهم فيها فاستصعبت معي ١١ رجلاً و ١٠٣ كلاب و ١١ مركبة من المركبات التي تجرها تلك الكلاب على الجمد وسرنا من هناك في ١١ فبراير (شباط) ١٩٠٨ . وخلفت من تقدمني فسافرت في الليل القطبي عوضاً عن

لم يبق بيننا وبين القطب الا ١٤ ثانية فقطعنا هذه المسافة القصيرة ووصلنا الى القطب حيث اقمنا يومين وكنا نجيد الشمس دائماً في الظهيرة هناك لالتقاء جميع الهواجر في نقطة واحدة ولا نجد شرقاً ولا غرباً ولا شمالاً بل كل شيء يظهر في الجنوب فقط . وكانت الابرة المغنطيسية في الحك تشير الى القطب المغنطيسي دائماً فكان عندنا اعظم فائدة

وفي ٢٣ ابريل (نيسان) غادر كوك ومن معه القطب الشمالي وقفوا راجعين فقاموا ما قاموا من المشقات والاهوال وقل معهم الزاد وحال الثلج والجهد دون مسيرهم في شهر سبتمبر (ايلول) فاضطروا ان يقضوا اشهراً في كهوف تحت الارض حتى شرقت الشمس سنة ١٩٠٩ افعادوا الى جرينلدا وقد تلقى قوم هذا الخبر بالارتياح لانه يلزم عن بعض ما ورد فيه ان كوك قطع مسافة ٤٨٣ ميلاً في ٣٥ يوماً وذلك يفوق ما فعله كل من تقدمه كثيراً وايضاً لان كوك لم يستصعب معه رجالاً من اهل العلم الذين نعول على قولهم غير اننا نكتب ذلك في اوائل سبتمبر واهل الدنمرك يستعدون لملاقاته والاحفالف به وارسلوا نسافة لاستقباله ولا بد من نشر التفاصيل وانجلاء الحقيقة قريباً

ان اسافر في النهار القطبي فلكيت من المشقات ما لا يوصف ولكني وجدت اخيراً الطرق التي تسير وحوش الصيد فيها فسهل ذلك علينا المسير وفي ١٨ مارس (اذار) اي بعد مسيرة شهر من الزمان برحنا جزيرة هيرت وسرنا في البحر التجمد الشمالي فوجدنا الضباب يغشاه على الدوام . ولما صرنا في آخر مرحلة من مسيرنا لم يكن معي غير اثنين من الاسكيمو ٢٦ كلباً وكنا نسير سيراً طويلاً ونصبر على الشدائد لان ما نراه من التقدم كان يشدد عزائنا . فكنا نستريح في اكواخ من الجليد ونقتات باللحم المقدد والشحم والدهن ونشرب الشاي الساخن . وما زلنا نسير في ضباب مظلم حتى استضاء سيراً في ٣٠ مارس (اذار) فالتفتنا واذا الى القرب منا برّ جديد فقصدناه على بحر من الجليد لا اثر للحياة فيه ولما تجاوزنا درجة ٨٦ من العرض الشمالي وجدنا حقولاً واسعة من الجليد ولما صرنا بين الدرجة ٨٧ والدرجة ٨٨ رأينا علامات تدل على قرب البر منا وكنا في مئة الميل الاخيرة نرى البر كل يوم ثم تبين لنا ان ذلك كان كله سراباً نحسبه برّاً وهو ليس ببر

ثم وصف اقترابه من القطب فقال : لم يكن معي حينئذ الا اثنان من الاسكيمو ٢٦ كلباً وكنت ارصد الارصاد الفلكية كل يوم فوجدت في ٢١ ابريل (نيسان) انه

عدد النجوم

يثفق الفلكيون تقريباً في تقدير عدد النجوم الى حد ويختلفون بعد ذلك كثيراً ففلكيو مرصد جرونكن يقدرون عدد النجوم التي من القدر الاول الى القدر العاشر ونصف بنحو ٦٩٧٥٥١ نجماً وفلكيو مرصد هارفرد باميركا يقدرون عدد هذه الاقدار بنحو ٦٠٤٠٠٠ نجم ولكن الاولين يقدرون عدد النجوم الى القدر الثالث عشر ونصف بنحو ١٤٥٨٢ نجماً والآخرين يقدرونها بنحو ٦٧٦١٠٠٠ فقط. والاولين يقدرون عددها الى القدر الخامس عشر ونصف بثمانية وتسعين مليوناً والآخرين يقدرون عددها الى القدر الخامس عشر بنحو ١٨ مليوناً

ويظهر من صور النجوم التي يصدرها مرصد كرينيج بانكثرت ان تقدير المرصد الاميركي اقرب الى الصواب والله اعلم

البوارج الهوائية والحروب المقبلة

يظهر ان قوماً حولوا وجوههم منذ اليوم عن البوارج البحرية وجعلوا ينظرون الى البوارج الهوائية ويقولون ان الحرب اذا شبت نارها في الازمان المقبلة فشبوبها يكون في الهواء لا على اليابسة ولا على الماء فقد انشأ بعض الكتاب الالمان مقالة في احدي المجلات الاميركية قالوا فيها ان قوة البالون زبلين وثباته قد ثبتا الآن للعيان بالتجربة

والامتحان ولا بد انهما يؤيدان بزيادة العناية والانتان الى سرعة تفوق سرعة البوارج في البحر مرتين او ثلاثاً. ومع ذلك لا تبلغ قوة الالات التي تحرك هذه البالونات اثنين في المئة من قوة آلات البوارج البحرية وكذلك نفقة صنعها ومدة صنعها لا تبلغان ١٥ في المئة من نفقة صنع بواخر من الطبقة الاولى ومن مدة صنعها

وعليه جاء الزمان الذي فيه اكتشفنا عدة جديدة للحرب والقتال وهي عبارة عن بارجة هوائية تساوي في الكبر البوارج البحرية وتسير اكبر منها على تماري الزمان. وهي تجري في الهواء على ارتفاع ميل عن سطح الارض وتقطع في الحرب من ٦٠ الى ٦٥ ميلاً في الساعة وتصب على الارض ناراً آكلة لا تحصى مرماها وتكون مع ذلك بأمان من شر عدوها لان البندقية العسكرية لا يؤذي رصاصها الى أبعد من ١٦٥٠ يرداً عن سطح الارض ولم تخترع بعد مدافع تؤذي قنابلها في العلو اكثر من ١٢٠٠ يرد. وهب انهم اخترعوا لذلك مدافع خصوصية فالبوارج الهوائية نثقي شرها بسرعة حركاتها وخفة دورانها كالطير في الهواء. فلا خوف عليها من عدوها الذي يقاتلها عن سطح الارض ولكن الخوف كله عليه لانه لا ينجو من نارها اذا سلحت بمدافع سريعة الاطلاق وقنابل وخصوصاً البنادق التي تطلق بالالات فان كل بندقية

مليون جنيه في السنة على جيش عدده ٦٠٠ الف رجل تحت الخدمة و ١٢٠٠٠٠٠ رجل احتياطي . فلو صنعت اسطولا هوائيا عدد بوارجه ٥٠٠ بارجة لما انفتحت عليه اكثر من ٣ ملايين جنيه في السنة ولا يمكنها ان تضيف اليه كل سنة ١٠٠ بارجة جديدة بخمسة ملايين جنيه

وحينئذٍ تتغير الحرب من حال الى حال فالهرب كانت كل هذا الزمان قتالا بين امثنين مسلحين او اكثر ولكنها تصير بعد صنع البوارج الهوائية قتالا بين عدد وآلات يديرها بعض الرجال الخبيرين المحربين . ولا يخفى ان البوارج البحرية قللت عدد الرجال الذين يتزلون الى ساحة القتال اما البوارج الهوائية فتجعل عددهم اقل من ان يذكر بالنسبة الى عدد امتهم وعليه يبطل النظام الحربي المعهود عندنا ويصير اعتماد الامم على قوة عقولها لا على قوة ذكورها فالسابق منها في صنع الآلات وفي النفي هو الفائت في القوة والفائز في ساحات القتال

قالوا ولهذا بات الانكليز في قلق شديد لان تعويلهم في قوتهم هو على البوارج البحرية فالبوارج الهوائية تفتح عليهم بابا لم يكونوا يحلمون به ولا حيلة لهم في سدده لانها غير مستعدة لذلك اقل استعداد ولان معرفتها بادارة المراكب الهوائية لا تكاد تذكر كما ثبت بالتجربة في هذه الايام

منها تصب ٤٠٠ رصاصة في الدقيقة كما يصب الانسان الماء من الانبوب فنارها الحامية تأكل كل المشاة والفرسان الذين يبعدون الى حد ميلين عنها ثم ان المدفعية الذين يكونون فيها يزرون كل شبح على الارض بوضوح وجلاء لا يعلمها الا من ركب البلون ورأى الاشباح على وجه الارض

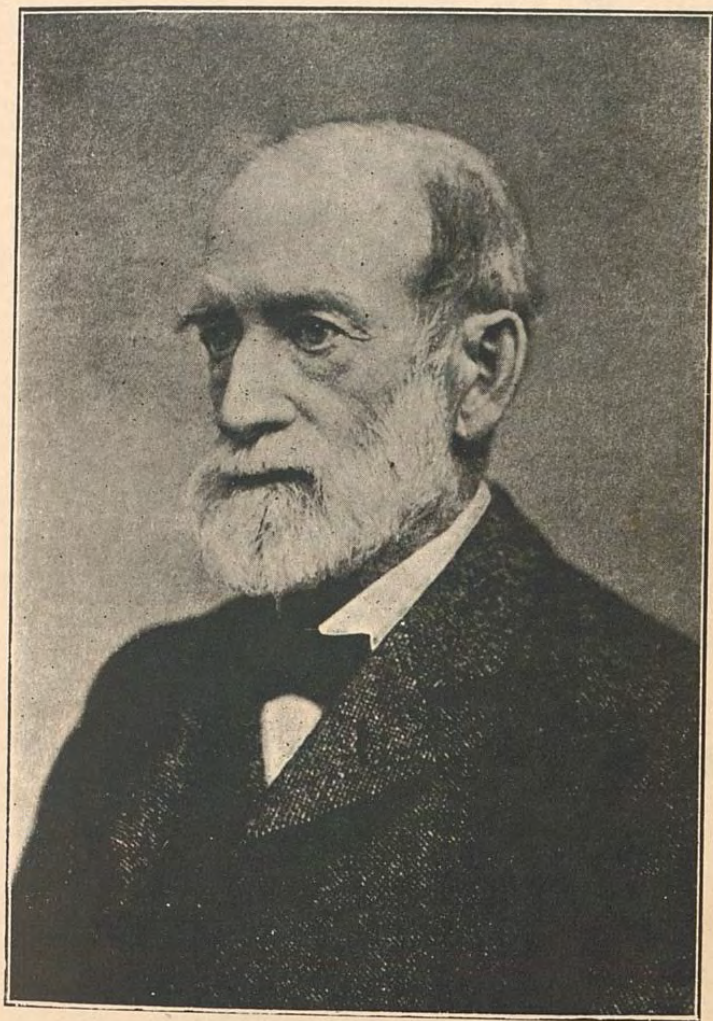
فالبوارج الهوائية تبطل اذا الحروب البرية والبحرية المصطلح عليها الآن . وتبطل ايضا نظام المدفعية والفرسان (الطوبجية والبيادة) اذ لا يكاد احد يرتاب اليوم في ان الناس يتصلون بعد سنين غير كثيرة الى صنع بارجة هوائية طولها مساو لطول الباخرة مورثانيا اي ٧٩٠ قدما . فهذه البارجة تكون حمولتها ١٢٥ طنا وتستطيع الذهاب من المانيا الى كل جهة من جهات اوربا والرجوع اليها تورا من غير ان تنزل الى البر ويكون مسيرها بسرعة ٣٥ ميلا في الساعة وتبقى ثلاثة ارباع تلك المدة على ارتفاع ١٦٥٠ يردا بما من من رصاص الاعداء واذا احسن تدبير وقودها تيسر لها البقاء في الهواء اسبوعا او اسبوعين من غير ان تنزل الى الارض لتأخذ وقودا غيره وتيسر لها ايضا ان تنقل معها ٢٠ طنا على الاقل من الاسلحة والذخائر

وزد على ما تقدم رخص هذه البوارج الهوائية فان المانيا تنفق الآن اكثر من ٤٠

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين

الطعام الكافي	٩٢٩
رسائل الاسثانة . للدكتور فارس نمر	٩٣٧
العنكبوت	٩٥٨
معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف	٩٦٣
مستقبل الهيئة الاجتماعية . لخليل افندي يعقوب الخوري	٩٦٩
حى البول الاسود . للدكتور نسيب تبشراني طبيب بمصلحة الصحة وجراح في الجيش المصري سابقاً	٩٧٦
اللغة العربية والتعريب . لولي الدين يكن	٩٧٩
تصديق الغرائب	٩٨٢
السلطة لئال	٩٨٥
فلسفة شو بنهور . لسلامه افندي موسى	٩٨٩
الميزانية العثمانية	٩٩١
الاعيان والمبعوثان	٩٩٤

باب الزراعة * المحاصلات المصرية . اصلاح الاطيان بالمصارف . صلاحية مياه الصرف . العلف والمواشي . المواشي المجرية . حياة البزور . توزيع الاطيان في القطر المصري . ام مزروعات القطر . المديرية والارض المزروعة . ثخل القطر المصري	٩٩٧
باب الصناعة * صناعة التفريخ . صيد الطيور والاسماك . الصناعة السورية	١٠٠٥
باب تدبير المتزل * في اي من يصح الزواج . اعتناء المرأة بمنظرها . اعمال النساء . لزوم ايام البطالة	١٠٠٨
باب التقريظ والانتقاد * امة الملايو . شرح نهج البلاغة	١٠١٦
باب المسائل * مذهب دارون عند العرب . تاريخ الدولة العثمانية . دودة الفطن وتاريخها . فعل انعكف . العقاب والنفس والصلاة . العلم والشر . تأخر الاطفال عن التكلم . علاج التأخر في التكلم . فوائد العقيق . سكان البلاد العثمانية . المهملون والمسيحيون في تركيا	١٠٢٢
باب الاخبار العلمية * وفيو ٧ . نيل	١٠٢٧



الدكتور جورج بوست